الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

السنة السادسة

العدد ٢٥٤

6 ème Année, No . 254

Lundi - 16 - 5 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ ربيع أول سنة ١٣٥٧ — ١٦ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــرس

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة ذكراه الأولى

— ٢ —



كان الرافعي رحمه الله حجة في علوم اللسان ، ثقةً في فنون الأدب ، عليماً بأسرار اللغة ، بصيراً بمواقع اللفظ ، خبيراً بمواضع النقد ، محيطاً بمذاهب الكلام . وقلما تهيأ هذه الصفات لغير المطبوعين من الأدباء الذين تعاطوا مهنة التعليم فاستنزفوا أيامهم في درس القواعد وحفظ الشواهد وفقه النصوص بحكم الصنعة . فكنت إذا ذاكرته في شيء من دقائق النحو وخواص التركيب وفروق اللغات وجدته على ظهر لسانه كأنما انصرف من مراجعته لوقته . ودراسة

الكاتب أو الشاعر للغته وفنه هى فى رأيه ورأى الحق شرط لوجوده؛ فلا يكون النبوغ والأستاذية بدونه، ولا تجزى الطبعية ولا المحاكاة عنه. وكان — شهد الله — فيما بينه وبين أخصائه يرفع أدب العقاد لوضوح هذه المزية فى كل ضرب من ضروبه.

ولقد بلغ علم الرافعى بالعربية وآدابها حد الاجتهاد والرأى، فكان يقف فى التعليل والاستنباط من ثقاتها ورواتها موقف الند؛ وقد يتعظَّم أحياناً فيقف منهم موقف الأستاذ. فهو فى أدبه مطلق الحرية مستقل الارادة فى حدود المأثور من بيان العرب؛ ولكنه فى فلسفته مقيد النظر مسيَّر الفكر لنزوله فى الرأى على حكم الدين

على أنك لا تعدو الصواب إذا قلت إن حرية أدبه أشبه بعبودية فكره، لأن مصدرهما وموردهما واحد هو القرآن. والقرآن من جهة الأدب غاية الجمال، ومن جهة الفضيلة غاية الخير، ومن جهة الفلسفة غاية الحق. لذلك كان قوله فى القديم والجديد قول العربى الذى يؤمن أن لغته التى تكلم بها الله نامية بذاتها لأنها حية، ومتطورة بطبعها لأنها قوية؛ وكان قوله فى المرأة والرجل قولَ المسلم الذى يعتقد أن دين الله حق لا يُبطِله قدم، وأن شرعه قانون لا يعطله شهوة. وما دام العرب أحياء فأدبهم متجدد، وما دام القرآن خالداً فدينه قائم

على هذين القطبين كانت تدور فلسفة الرافعى الأدبية والاجتماعية. ولعلى تساهلت إذ قلت فلسفة الرافعى، فليس للرافعى فلسفة؛ إنما هى فلسفة القرآن وأدبه قام منها مقام ابن رشد من أرسطو: يقرر ويحرر ويدافع من غير أن يكون لمنطقه حكم ولا لرأيه اعتراض

***

كان الرافعى فى بعض حالاته يفتنّ فى الصورة التى يرسمها افتنان المصور الخيالى. يضيف إليها من المشاهد ما لاتقره الحقيقة، ويضع فيها من الألوان مالا تعرفه الطبيعة. وقصده القاصد من ذلك أن يريك قدرة ذوقه على الملاءمة، وقوة ذهنه على التوليد، ويعطيك للشىء أو للشخص صورة إذا لم تكن كانت، فهى التى ينبغى أن تكون. فهو إذا كتب فى موضوعٍ ما سمح لعاطفته أن تجرِ، ولهواه أن يدفع، ولفنه أن يزخرف، ثم يستخدم براعته فى التدليل على صحة العاطفة ونزاهة الهوى وصدق الأداء، فيكون من امتزاج الخيال بالواقع، واشتباه الغلو بالقصد، والتباس البهرج بالصحيح صورة غامضة الدلالة، خافتة الروح، ولكنها بديعة الإطار، رائعة اللون، منمنمة الخطوط؛ وذلك أكثر ما تراه في حديث القمر والسحاب الأحمر، والمساكين، وأوراق الورد. أما إذا اتصل فنه بشعوره، وافتنانه بطبعه، ورأيه باعتقاده، فانك ترى الاشراق فى اللفظ، والجلال فى المعنى، والسمو فى الروح، والإعجاز فى الصنعة. وهنالك تجد الرافعى فى جلوة الإلهام التى تشدهه هو نفسه فيقول لى ولمن يأنس إليه: إن حالا تشبه حالات الوحى تقوم به فى بعض ساعات الليل حين يكتب فى إعجاز القرآن أو فى الدفاع عن أدبه، فلا يكون فيما ينشئ إلا وسيطاً ينقل عن قوة من وراء الغيب. وأكثر ماوقع له ذلك فى كتابيه (تحت راية القرآن) و (وحى القلم). وكان من شذوذ العبقرية فى الرافعى اعتداده بنفسه إلى حد الصلف، واعتقاده بالغيبيات إلى حد السذاجة. وله فى ذلك حوادث وأحاديث ربما عرض لها صديقنا العريان فى ترجمته له

والرافعى بعد ذلك كله كاتب من الطراز الأول قلما يجود بمثله هذا العصر المجنون الذى يتبجح بالسرعة ويريد أن يأخذ حظه الضرورى من المعرفة مختصراً فى رسالة، أو معتصراً فى مقالة

***

هذه كلمة مجملة كتبناها عفو الخاطر وفيض الذاكرة فى ناحية من نواحى أدب الرافعى، اعتمدنا فيها على خِلاطه وحديثه وقراءته؛ أما دراسة الشرح والتفصيل، والنقد والتمثيل، والدعوى والدليل، فتلك لها طريقة غير هذه الطريقة، ومناسبة غير هذه المناسبة. ولعلنى أرجع إلى الرافعى في عدد قريب فأعلن ماأفضى به إلى من الرأى الحق فى خصميه طه والعقاد

احمد حسن الزيات

مات الرجل العظيم

محمد إقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

في اليوم الحادي والعشرين من أبريل الماضي والساعة خمس من الصباح، في مدينة لاهور مات رجل كان على هذه الأرض عالماً روحياً يحاول أن يُنشئ الناس نشأة أخرى، ويسنّ لهم في الحياة سنة جديدة؛ وسكن فكر جوّال جمع ما شاءت له



محمد إقبال

قدرته من معارف الشرق والغرب، ثم نقدها غير مستأسر لما يُؤثر من مذاهب الفلاسفة، ولا مستكين لما يُروى من أقوال العظماء؛ ووقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الأمة الاسلامية من كل ما وعى التاريخ من مآثر الأبطال وأعمال العظماء؛ وقرّت نفس حرّة لا يحدّها زمان ولا مكان، ولا يأسرها ماض ولا حاضر، فهي طليقة بين الأزل والأبد، خفّاقة في ملكوت الله الذي لا يُحدّ.

مات محمد إقبال الفيلسوف الشاعر الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللبشر جميعاً. الرجل الذي كان يخيّل إليّ وأنا في نشوة من شعره أنه أعظم من أن يموت، وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثماني

فاضت روح الرجل الكبير المحبوب في داره بلاهور ورأسه في حجر خادمه القديم الوفيّ (الاهي بخش) وهو يقول: إني لا أرهب الموت. أنا مسلم أستقبل المنيّة راضياً مسرورا

كنت أقرأ كلام إقبال في الحياة والموت، وأرى استهانته بالحمام، واستهزاءه بالذين يرهبونه. وما كان هذا خُدعة الخيال، ولا زُخرف الشعر فقد صدق إقبال دعوته في نفسه حين لقي الموت باسما راضياً

جد المرض بإقبال منذ سنة، وكان يقترب إلى الموت وهو متقد الفكر، قوي القلب، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس النائمة، وينثر قلبه شراراً يشعل به القلوب الهامدة. وكان يعني بنظم كتابه (آهنك حجاز): لحن الحجاز. وكان قلب الشاعر يهفو إلى الحجاز وقد تمنى في خاتمة كتابه (رموز بي خودي) أن يموت في الحجاز. ومما نظمه في أشهره الأخيرة:

آية المؤمن أن يلقى الردى باسم الثغر سروراً ورضا

وقد أنشد هذين البيتين قبل الموت بعشر دقائق، وهما مما أنشأه أخيراً:

نغمات مضين لي، هل تعود ونسيم من الحجاز سعيد؟

آذنت عيشتي بوشك رحيل هل لعلم الأسرار قلب جديد!

وآخر ما أنشأ من الشعر بيتان أترجمهما نثراً:

«قد أعدّت جنة لأرباب الهمم، وجنة أخرى لعُبّاد الحرم. فقل للمسلم الهندي لا تحزن، فكذلك للمجاهدين في سبيل الله جنة»

— ٢ —

كان تشييع إقبال إعرابا رائعاً عما للرجل الفذّ في قلوب أهل الهند عامة ومسلميه خاصة. احتشدت عشرات الألوف تودّعه بالبكاء والزفرات، وشاركت النساء بالعويل والنحيب، وتنافس الحاضرون في حمل النعش فوضع على خشبتين طويلتين ليتسنى لكثير من المشيّعين أن يشرفوا بحمل الرجل العظيم إلى مثواه الأخير. وقد بلغت الجنازة شاهي مسجد وخلفها زهاء أربعين ألفاً، فوقف الناس ساعة كاملة حتى تيسر لهم أن يصطفوا للصلاة على الفقيد الجليل، ثم نقلت الجنازة الى حديقة متصلة بالمسجد.

وهنالك والساعة عشر إلا ربعاً من المساء غربت شمس إقبال في جدثها، وطُوي الجهاد الذي ملأ الدنيا في لحده، وأُدرجت الحكمة والشعر والحرية التي تأبى الحدود والقيود في جَنَبَتها

وضع محمد إقبال في قبره

وغشى القبر الذي تضمن روضة الشعر بضروب الزهر والريحان، ثم نثرت عليه أزهار أخرى من أقوال الخطباء والشعراء الذين أطافوا بالشاعر الخالد

وتجاوبت أرجاء الهند بأقوال الكبراء يعربون بها عما أحسوا من لوعة، وما دهى الهند من مصيبة، بموت شاعرها الأكبر.

اجتمع على هذا المسلمُ وغير المسلم؛ فهذا جواهر لال نهرو يقول:

« لقد دهتني وفاة إقبال بصدمة هائلة. شرفتُ بلقاء إقبال

ومحادثته منذ قليل ؛ وكان مستلقياً على فراش المرض ، ولكن كان لفكره العالى ونزعته الحرة فى قلبى أثر بليغ . لقد فقدت الهند بفقد إقبال كوكباً لألاء مضيئاً ، ولكن شعره سيخلد فى قلوب الأجيال الآتية ، وذكراه العظيمة لن تموت »

وهذا الدكتور محمد عالم يقول :

« لا تستطيع أرض البنجاب أن تخرج إقبالاً ثانياً فى عصور طويلة » . ويضيق المجال عن الإكثار من أقوال أعلام الهند فى فقيدهم

وأرخ بعض الشعراء وفاة إقبال (سنة ١٣٥٧) فى قوله :

تاريخ « بور إقبال شاعر مشرق » — كان إقبال شاعر الشرق . وأرخ آخر بقوله : كفته علامة إقبال سوى بهشت برين : ذهب العلامة إقبال شطر الجنة العالية .

ترك الشاعر النابغة ابنين وبنتاً وأخاً وثلاث أخوات

— ٣ —

ولد محمد إقبال فى سيالكوت سنة ١٨٧٦ م من عشيرة قديمة دخلت فى الاسلام منذ ثلاثة قرون ، وكانت تقيم فى كشمير ثم اضطرتها الحوادث أن تهاجر إلى البنجاب واستقرت أسرة اقبال فى سيالكوت

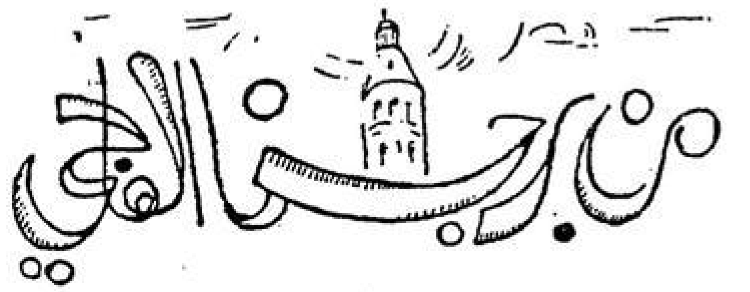
وبدأ تعلمه فى البلد الذى ولد به ، ودرس على العالم الكبير مير حسن فأذكى فى قلبه حب الآداب الشرقية . ثم انتقل إلى لاهور للدراسة العالية فكان من أساتذته السير توماس ارنولد أستاذ الفلسفة الاسلامية . وقد سمعتُ أرنولد يفخر بأن اقبالا تلميذ . وفى ذلك الحين شدا اقبال الشعر ، فرجا الناس فيه شاعراً خطيراً . ونال درجة أستاذ فى الأدب (M.A) وصار مدرس الفلسفة فى إحدى الكليات

وسنة ١٩٠٥ م سافر إلى أوربا فتعلم فى كمبردج القانون ، ثم ذهب إلى ألمانيا فدرس الفلسفة . وبعد ثلاث سنين من خروجه من وطنه رجع إليه مرجواً لأمته محبباً إليها . وعمل فى المحاماة وقصده الناس لاستشارته والاستعانة به فى كثير من الأمور التى كانت تهم المسلمين . وما زال نجمه يسطع ، وصيته يذيع ، وشعره يجوب أرجاء الهند ويستقر فى كل قلب حتى اجتمعت قلوب المسلمين عليه ، ورددوا أقواله فى خطبهم ومقالاتهم ، وتقيّلوه فى أعمالهم ، وكأنما أذكى الشاعر العبقرى فى كل قلب جذوة ، وملأ كل رأس فكراً ، وكل نفس حرية وعظمة ، حتى مات وكلٌّ يتشبه به ، ويطمح إلى أن يكون من المهتدين بهديه

وسأعود إلى الكتابة عن فلسفته وأدبه ان شاء الله

والله يعوض الأمم الاسلامية ويعزيها عن اقبال بالاستجابة لدعوته والسير على أثره

عبد الوهاب عزام



منذ عشرة أعوام عُقدت معاهدة على جبل « أولمب » بين « أبولون » و « كوبيدون » تتعلق بى . ولا أعرف على وجه التفصيل نصوص تلك المعاهدة . فلقد كانت معاهدة سرية . ولكن يخيل إلى أن « آله الفن » أراد أن يعتبرنى من « مناطق نفوذه » ، فحرم على إله « الحب » أن يلقى سهما واحداً من قوسه الذهبى إلى هذه المنطقة . وقد تبين لى فى مواقف كثيرة من حياتى أن إله « الحب » قد احترم حقاً هذه المعاهدة . وفى أحيان أخرى رأيت كأن « كوبيدون » ينظر إلى « قلبى » نظرات ملؤها المطامع الاستعمارية ، وأنه يتحين الفرص والظروف . وإله الفن ، كما هو معلوم ، ينادى دائماً بالحرية ، إذ لا فن بغير حرية مكفولة فى كل زمان . وإله الحب ينزع إلى السلطة والسيطرة والعنف والتقييد بالسلاسل والأغلال . ولست أدرى لماذا يذكرنى هذا الصراع بينهما بالصراع القائم بين « انجلترا » و « ايطاليا » ؟ فانجلترا بلد الديمقراطية والحرية ، وايطاليا رمز الدكتاتورية والسلطة المطلقة . ولقد وقع حديثاً نزاع بين الطرفين ، فأغفلت المعاهدة وألقيت السهام ، وأعلن الدكتاتور أنه افتتح المنطقة « الحرام » . فلم يعترف له منافسه بهذا الفتح . وسارت الأيام سيرها وأنا راض مطمئن اطمئنان « النجاشى » المسكين ، إلى أن قرأت فى البريد الأخير أن انجلترا ستحمل العالم على الاعتراف بالفتح الايطالى « للحبشة » ، فوضعت يدى على « قلبى » وأدركت أن « الحرية » الجميلة ليست إلا حملا ضعيفاً تنتظره دائماً أنياب الذئب ، وأن « المعاهدات » ليست إلا « محطات » انتظار لساعات الوثوب

توفيق الحكيم

صفحة من تاريخ

استيطان العرب لمصر

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان العرب في مصر جلهم من الجند المقاتلة وقت الفتح، ولم يزد عددهم على ستة عشر ألفاً في هذا الوقت. ولم تكن سياسة الخلفاء الراشدين تسمح بنزول الجند في ريف مصر بقصد إقطاعهم الأراضي حتى لا يصرفهم ذلك عن الجهاد. وزاد عدد الجند العرب في مصر فبلغ أربعين ألفاً في عهد معاوية بن أبي سفيان

ولا شك أن هذا العدد أخذ يزداد بازدياد العنصر العربي في مصر، وهذا نتيجة طبيعية لما كان من لحاق نساء الأجناد وأولادهم للإقامة معهم في هذا البلد، واتخاذهم إياه وطناً جديداً، وما كان أيضاً من التزاوج والاندماج في سكان البلاد الأصليين. ولعل العرب لم يفطنوا لأمر إحلال الكتائب بعضهم محل بعض في الأقاليم الإسلامية، اللهم إلا ما كان من تناوب الأجناد الإقامة في الثغور كل ستة أشهر. وليس لدينا من المعلومات التاريخية ما يثبت أن قاعدة استبدال الكتائب في الولايات كانت معروفة عند غير العرب كالرومان والفرس. بيد أن عدم احتمال هذا الأمر أقرب إلينا من جواز احتماله لما كان يتطلبه من كثرة الأسفار

غير أن العرب في مصر — على الرغم من زيادة عددهم كما بينا — كانوا في أوائل القرن الثاني للهجرة من القلة بحيث رأى عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج على مصر أن يشير على الخليفة هشام بن عبد الملك أن يأذن له في إسكان العرب من قيس في أرض الحوف الشرقي، وأكد للخليفة أن نزولهم لا يضر بسكان البلاد. وكان يقيم في هذه الكورة نفر يسير من جديلة

نزلت قيس جهة بلبيس، وسرعان ما قارب عددهم خمسة آلاف، وأخذوا يستثمرون الأرض ويتجرون في الإبل والخيل، وكانوا يحملون عليها غلات أرضهم إلى القلزم حيث تشحن إلى بلاد العرب. هذا وقد كان لقيس (١) ضلع كبير في الفتن التي أقامها المصريون في وجه الولاة حين هموا بزيادة الخراج (١)

ولقد وفدت القبائل العربية على مصر تدريجيًا، فجاءت قبيلة الكنز من ربيعة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري فأقاموا في الصعيد، واندمجوا في السكان بالمصاهرة، وكانت لهم ضلع في الثورات والفتن التي قامت بمصر وعلى الأخص في أواخر عهد الفاطميين إذ ثاروا على صلاح الدين الأيوبي بعد أن تولى الوزارة بقليل

على أن اندماج العرب بالمصريين اندماجاً فعليًا لم يتم إلا بعد أن أسقط المعتصم العرب من الديوان، وأحل مكانهم جنداً من الأتراك، فانتشر العرب في الريف واحترفوا الزراعة وغيرها طلباً للرزق؛ وازداد اندماجهم في السكان بالمصاهرة، ومن ثم أخذ التميز العربي يتلاشى شيئاً فشيئاً، وبدأ ظل الولاة من العرب يزول بإحلال الولاة من الأتراك محلهم؛ ولم يحكم مصر بعد ذلك عربي إلا إذا استثنينا عنبسة بن اسحق (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) والخلفاء الفاطميين

تم فتح مصر على أيدي جند العرب، ولم يشأ عمر أن يقطعهم أرضها ليكونوا على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الجهاد وفتح البلاد المجاورة لمصر لتأمن مصر نفسها وليستقر بذلك سلطان العرب فيها. وقد فتح العرب في ولاية عمرو بن العاص الأولى بلاد برقة سنة إحدي وعشرين للهجرة وطرابلس في السنة التالية وغزوا إفريقية سنة ٢٧ هـ تحت قيادة عبد الله بن سعد (٢٥ — ٣٥ هـ) والى مصر إذ ذاك، وهزموا الروم في هذه البلاد وقتلوا ملكهم، وخربوا قاعدة ملكه وتوغلوا في بلاد إفريقية وصالحوا أهلها (٢)، وغزوا بلاد النوبة سنة ٣١ هـ حتى وصلوا دنقلة، وفي هذه السنة اشتبك الأسطول المصري مع أسطول الروم فانتصر الأول في واقعة ذات الصواري، ثم غزوا طرابلس مرة أخرى في ولاية عمرو بن العاص الثانية

ويظهر لنا أن هذه الغزوات لم يكن القصد منها الاستعمار لهذه البلاد وإدخالها في حوزة العرب كما كانت الحال بالنسبة إلى مصر، وإنما كان قصد الخلفاء وولاتهم على مصر القيام بها لتأمين

(١) قال الكندي (ص ٩٤ — ٩٦): إن قيساً قامت في وجه مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية حين جاء إلى مصر هارباً من وجه العباسيين =

= وقال المقريزي (الخطط ج ٢ ص ٨): إن قيساً هذه مالأت مروان

(١) أنظر الكندي ص ٧٦ والخطط للمقريزي ج ١ ص ٨٠ — ٨١

(٢) قيل إن أهل إفريقية صالحوا عبدالله بن سعد على ٢،٥٠٠،٠٠٠ دينار ثم شرطوا له بعد أن توغلت جنوده في داخل البلاد ٣٠٠ قنطاراً من الذهب على أن يخرج من بلادهم فقفل بعد أن أقام المسلمون سنة وثلاثة أشهر

مصر من الغرب والجنوب ولذلك كان فتح بلاد المغرب

وكان العرب يقنعون بما يصيبونه من الأسلاب والغنائم وظلوا على ذلك حتى تحولت وجهة نظر الخلفاء، فأخذوا يهتمون بأمر بلاد المغرب بوجه خاص، فأرسلوا إليها الجند للمحافظة عليها، وقلدوا ولايتها ولاة مستقلين فى الحكم عن أمراء مصر أو نائبين عنهم فى حكم هذه البلاد إذا جمع بين مصر والمغرب لوال واحد(١)

وقد قام المصريون بدور هام فى الغزوات البحرية فى هذا العصر، فقد بنى مسلمة بن مخلد (٤٧ — ٦٢ هـ) فى جزيرة الروضة داراً لصناعة السفن وإصلاحها. وكان لبناء هذه الدار فوائدها فى حروب مصر البحرية، فقد غزا رودس الأسطول المصرى، جهزه عقبة بن نافع سنة ٤٦ هـ وتم له فتحها سنة ٥٣ هـ ولما جاء عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ) أصبح لمصر أسطول قوى شارك أسطول الشام فى غزو القسطنطينية وإن كانت هذه الغزوة قد عادت على الأسطولين المصرى والشامى بالفشل

ولقد خاض الجند العرب غمار الفتن السياسية التى قامت في هذا العصر بين الخلفاء الأمويين والخارجين عليهم، وكذا بين بنى العباس ومناوئيهم، وكان لتدخلهم أثر ظاهر فى هذه الفتن.

حسن إبراهيم حسن

(١) جمع مسلمة بن مخلد والى مصر الصلاة والخراج والمغرب فأقام بمصر وبعث مولاه أبا المهاجر ديناراً عنه فى المغرب، وذلك فى خلافة معاوية بن أبى سفيان

فلسفة التربيــــة

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٦ —

« كاد المعلم أن يكون رسولا ..! » « شوقى »

« إنما الصعوبة هى في إيجاد أولئك الأساتذة الأفاضل الذين يستطيعون أن يحملوا الشعلة وأن يناولوها غيرهم بجرأة وحماس وإخلاص وإقدام. ! »

« قد نبني المدارس وننفق فى تشييدها وإعدادها ملايين الجنيهات، ولكنا قد نعجز مع ذلك عن تكوين الرجل المنشود! »

« أفضل النظم جدير بالفشل التام إذا لم يقم بتنفيذه من هو كفؤ له. ! » « من رسالة الدكتور جاكسون »

٦ — المعلمون

رأيت فى المقال السابق بعض أسباب فشل النظام فى المعاهد الدراسية وتبينت أثراً لمسئولية النظار والمدرسين فى ذلك الشأن. وسترى اليوم ناحية أخرى لها من الخطورة والطرافة في عملية التربية ما يجعلنا نهتم بها كل الاهتمام، ونصرح فيها بأشياء ما كنا لنذكرها لولا حرصنا على المصلحة العامة، ولولا أملنا فى أن يقابل الجميع الحقائق — على مرارتها — بصدر رحب وتقدير نزيه:

١ — حقائق

قال المرحوم شوقى بك:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا … كاد المعلم أن يكون رسولا!
أعلمت أشرف أو أجلَّ من الذى … يبنى وينشىء أنفساً وعقولا!

وأحسب أن معنى ذلك الشعر العذب واضح لا يحتاج إلى بيان، وصادق لا مبالغة فيه ولا تهويل! فترى هل يشعر المعلم عندنا بكل ما فيه من معنى؟ أو هل تساعده الظروف على أن يتمثل به ويحققه فى حياته الخاصة والعامة؟ ذلك هو السؤال المسير الذى فكرت فيه كثيراً وتألمت من أجله طويلاً، ولست أدرى متى يقف تفكيرى فيه وألمى من أجله!!

إن المعلم أيها القارىء هو الطرف الأول فى عملية التربية والتعليم، فإذا لم يستطع أداء عمله كما ينبغي فقل على الأمر السلام!

فترى هل يجوز أن يكون ذلك الطرف مجرد ناقل علم فحسب، ما إن يدخل الفصل حتى يتكلم ويتكلم، ويكتب بالحكك ويكتب، ثم يخرج ويدخل هكذا كل يوم ويخرج، دون أن تقوم بينه وبين الطلبة عاطفة من ود ولا وشيجة من إخاء؟؟

وترى هل يجوز أن يكون ذلك الطرف متبرما من عمله، ساخطاً عليه، ثائراً على القدر الذى ابتلاه به، حاسداً لنظرائه فى المهن الأخرى حيث الراحة والجاه، والكسب الوافر والنعيم الموموق(١)؟؟

وترى هل يجوز ألا يقبل ذلك الطرف على تلك المهنة الخطيرة إلا مضطراً لا ميل يدفعه، ولا غرام يحببه، بل هى الوظائف قد أقفلت بعد الجامعة أبوابها فى وجهه، وهو « المعهد » قد فتحها

(١) أذكر أنى كنت أستمع يوما مع بعض الزملاء إلى محاضر يتحدث عن حياة الأرواح فى العالم الآخر ويقرر أن هناك مدارس ومعلمين، فما كان من الزملاء إلا أن ضجوا وتبرموا خيفة أن يكون نصيبهم بعد الموت هو تلك المهنة الشاقة التى ملأت عليهم حياتهم هما وشقاء وعصراً ونصباً!!

ورحب به نائماً وآكلا ودارساً دون ما أجر[١] ؟؟

وترى هل ينبغى أن يكون « بعض » هذا الطرف فى المدارس الأهلية ، وهى لا تقل عن مدارس الحكومة فى عدد طلبتها ، مجرد طالب عيش لا يفقه من أمور التربية شيئاً ، ولا يدرى عن طبيعة الطفل قليلا ولا كثيراً ، ولا يستطيع إلا أن يرسل القول محفوظاً ، فلا عقلا يكوّن ، ولا شخصية يبنى ، ولا خلقاً يغرس ، ولا نظاماً يصون[٢] ؟؟

٢ – أسباب :

تلك حقائق مرة لها خطورتها الكبرى فى عملية التربية كما قلنا ، وهناك من الحقائق غيرها مالا يتسع المجال لذكره أو ما لا يليق به أن يذكر !! ، ولما كانت التربية الصحيحة شيئاً آخر غير حشو العقول بالكتابة والقول ، وتنفير القلوب بالجمود واليأس ، وتشويه الشخصية بالجهل والحمق ، فمن الخير أن نتلمس بعض أسباب هذه الحقائق علنا نستطيع أن نجد لها علاجا .

أتعرف ماذا هو عمل المعلم فى المدارس الثانوية على وجه الخصوص ؟ أتعرف أنه دروس تُحضّر ، وحصص تُدرّس ، وكراسات تصحح ، ثم أعمال إدارية أو كتابية بغيضة يملأ فيها الأستاذ الكشوف بالأرقام المجموعة وغير المجموعة ، ثم ينقلها إلى كشف آخر وكشوف أخرى ، ثم يبعث بها ثلاث مرات فى العام إلى أولياء الأمور كما لو كان كاتباً يسجل ويجمع ويكتب كل شئ حتى العنوان ؟؟

ثم أتعلم ماهو قدره فى عين الدولة والمجتمع بعد كل هذا العناء الذى يبذله ليل نهار ، ومع خطورة وشرف المهنة التى ينسب إليها ؟؟

لعلك تدرى أن قدره فى عين المجتمع دون قدر رجل العدالة أو رجل الطب بكثير ؟ هذا ينطق بالحق وذاك يشفى الجسم ، أما هو فماذا يفعل غير إلقاء الدروس ؟ وعسير عليك جداً أن تفهم الناس أن التعليم قد يغنينا عن القاضى[١] أو الطبيب دون أن يغنى كل من هذين عن الأستاذ . وعسير عليك جداً أن تدخل فى الأذهان أن صاحبنا يبنى وينشئ أنفساً وعقولاً كما قال أمير الشعراء

ثم لعلك تدرى أن قدره فى عين الدولة كان وما زال دون قدر رجال القضاء وغير رجال القضاء ؟ وأين المسكين من أولئك وهؤلاء ؟ ألم يخطب يوماً أحد الزعماء ليعبر عن جماعة المعلمين بعشار الجد وسوء الفعل كما لو كانوا جماعة من العمال أو الزراع ؟ أولم يرتفع صوت المعلمين مدوياً طالباً المساواة والانصاف دون أن تستجيب له الحكومات بتلك السرعة وهذه الأريحية التى تستجيب بهما لرجال القضاء أو النيابة أو المحاماة ؟ أولا ينظر المعلم اليوم إلى زميله بالأمس فى الدراسة الثانوية فيجده فى مجال القضاء يقفز القفزات ، أو فى ميدان الجيش يتناول « العلاوات » ، وهو هو فى فناء المدرسة تمضى عليه السنون فى الدرجة الواحدة ، وتتسع الهوة المالية والاجتماعية بينه وبين زميليه هذين ، إلى حد يخيل إليه أن لاعدل هناك ولا مساواة ، مع أنه يبذل من الجهد ، ويؤدى من الواجب ، مالا يقل قيمة وضرورة وقدراً عن أعمال هذين الندين العزيزين ؟[٢]

قل ما شئت وما لم تشأ فى ذنب المعلم وتقصيره ، ولكنك لن تستطيع أن تقول إنه فوق البشر فلا يؤذيه الظلم ولا يميته الاغفال ... ! ثم أنت تنشد بعد ذلك للتعليم إصلاحاً ! أفلا يليق بك أن تتدبر هذا الأمر بنتائجه البعيدة والقريبة قبل كل شيء وبعد كل شيء ؟

محمد حسن ظاظا

مدرس الفلسفة بالمدارس الأميرية

(١) وقد بدأت الوزارة تعمل على إصلاح ذلك الحال باختيار نخبة خاصة من خريجى الجامعة ليلتحقوا بالمعهد .. ، ولكن مما لاشك فيه أن كثيراً من رجال التعليم الحالى لم ينشدوا مهنتهم عن ميل صحيح أو لم يجدوا فيها ماقد يخلق فيهم من الرضاء والارتياح ما يشجعهم على تحمل مشقاتها باسمين والقيام بأعبائها مطمئنين . وحسبك أن تقوم بعمل استفتاء عام كما فعل مرة أحد الزملاء فلن تجد جواب الأغلبية الساحقة خارجا عن دائرة الأسف والسخط والندم واليأس . فهل بهذه الروح ينبغي أن يعمل المعلمون ؟ وهل بمثل هذه الروح نستطيع أن نرجو إصلاحا للأجيال القادمة والحاضرة ؟؟

(٢) لقد رأيت وسمعت من أحوال بعض المدارس الاهلية كل عجيب مضحك . وسأفرد مقال العدد الآتى انشاء الله لهذا الشأن . ولكنى أعترف هنا أن قليلا من حضرات الأساتذة غير الفنيين فى هذه المدارس يبذل من المجهود الخصب ما يكشف عن حسن استعداده وقوة خلقه . وجدير بالدولة على أية حال أن تقوم هنا بتصفية سريعة مضبوطة لا لين فيها ولا هوادة ، وأن تدبر بقدر المستطاع عملا لمن لا يصلحون لهذا العمل الفنى الدقيق

(١) أثبت الاحصاء أن التعليم يقلل من الجرائم الكبرى أيما تقليل وصدق المثل القائل إن من أقام مدرسة فقد أغلق سجناً ، أو القائل إن من هدم ركناً من أركان الجهالة فقد شيد ركناً من أركان الوطن !

(٢) وقد بدأ فعلا تنفيذ « الكادر الجديد للمعلمين » ولكن الهوة ما تزال سحيقة بين رجال القانون ورجال التعليم . وما زلت أعرف كثيرين قد مضى عليهم أكثر من العشرين عاماً وهم ما زالوا فى الدرجة السادسة ، وما زلت أجد حظ المعلم فى مجانية المدارس مغبوناً إلى حد مروع وأعتقد بعد هذا أن كل إصلاح ميئوس منه إذا لم يسو بين المعلم وبين غيره من رجال الدولة تسوية عادلة

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٢ —

نقل الأستاذ الأديب سيد قطب في كلمته الثانية بعض ما نقده الرافعي في قصيدة للعقاد في ديوانه بعنوان (غزل فلسفي ؛ فيك من كل شيء) ، وذلك حين يقول في حبيبته :

فيك مني ومن الناس ومن كلّ موجودٍ وموعودٍ تُؤام

فقال الأستاذ قطب : فلا يرى الرافعي في هذا البيت الفريد إلا أن يقول : « قلنا فإن (من كلّ موجود) البق والقمل والنمل والخنفساء والوباء والطاعون والهيضة وزيت الخروع والملح الانجليزي إلى واوات من مثلها لا تعدّ ، أفيكون هذا كله في حبيب إلا على مذهب العقاد في ذوقه ولغته وفلسفته ؟ »

ثم يعودُ فيقول : «إن هذا المثال هو «مصداق رأيي في أن الرافعي أديب الذهن لا أديب الطبع ، وأنه تنقصه « العقيدة » ! التي هي وليدة الطبع أولاً ؛ فأيّ « طبع » سليم يتجه إلى تفسير بيت غزليّ في معرض إعجاب شاعر بحبيبته ، واستغراق في شمول شخصيتها بأن « كلّ موجود » هو البق والقمل والنمل .. الخ » غافلاً عما في هذا الاحساس من « حياة » ! « واستكناهٍ » ! لجوهر الشخصية ، و « خيالٍ بارع » تثيره طبيعة فنية ، فيرى في هذه المرأة من متنوّع الصفات ومختلف النزعات وشتى المزايا عالماً كاملا من كل موجودٍ وموعود

أحد أمرين :

إما أن الرافعي ضيق الاحساس مغلق الطبع بحيث لا يلتفت إلى مثل هذه اللفتات الفنية بالشعور

وإما أنه يدرك هذا الجمال ، ولكنه يتلاعبُ بالصور الذهنية وحدها ، غافلاً عما أحسّه وأدركه

وهو في الحالة الأولى مسلوب « الطبع » وفي الثانية مسلوب « العقيدة ! » فأيهما يختارُ له جماعة الأصدقاء »

ثم أتمّ الأستاذ علينا نعمة نقده بأن قال « إن هـذا المثال « يمثل تلاعب الرافعيّ بالصور الذهنية ، واستغلاق طبعه دون تملي الإحساس الفني »

وقد آثرنا أن ننقل في كلامنا كلّ هذا لا نبدّله ولا نحرّفه لنقطع بذلك مادة الشك في صحة النقل من كلام الأستاذ قطب ، وليجتمع للقارئ فكرهُ على رأى متصل حين ينظرُ في أعقاب كلامنا بالتعرُّف أو الانكار

ونحن حين قرأنا قصيدة العقاد لأول مرة في مجلة المقتطف (يناير سنة ١٩٣٣) زعمنا أنها قصيدة مؤلفة من مادة غير مادة الشعر ، وأن الغزل الفلسفي الذي فيها حديث يتهالك ، والفلسفة منطق يتماسك ، فهي على ذلك ليست من شعر ولا فلسفة . وهذا هو بديهة الرأي لمن يقرأ هذه القصيدة ويتدبر معانيها ، ويقيسها إلى غرض صاحبها فإنه سماها أول ما سمى « غزلاً فلسفياً » ثم أتبع هذا — وفي رأسها — مما يشبه التفسير لهـذا العنوان ، وما يتضمن لحوي القصيدة ، ويحدد جملة معانيها ، وذلك قوله : « فيك من كل شيء »

ولسنا الآن بسبيل من نقد القصيدة كلها ، وبيان ما أشرنا إليه قبل في أثنائها وتضاعيفها ، وإنما نجتزىء بالقول في البيت الذي نقده الرافعي ، ثم عقب على نقده الأستاذ سيد قطب بما شاء له «طبعه» المفتوح غير المغلق ، و«عقيدته» الكاملة غير المسلوبة ، و « خياله البارع » غير المتخلف

وهذا البيت بعينه :

فيك مني ومن الناس ومن كلّ موجودٍ وموعودٍ تُؤام

إنما هو تكرار لقوله في صدر القصيدة : « فيك من كل شيء » حين أراد الشاعر أن يزيده بياناً ووضوحاً ، ويجلوه جلاء المرآة لتصف شخص صاحبته ، أو كما قال الأستاذ القطب (لاستكناه جوهر شخصيتها !)

وقد ذهب الرافعي في نقد هـذا البيت مذهب العربي حين يسمع الكلام العربيّ لا ينحرف بألفاظه إلى غير معانيها ، ولا يتسع في معاني الألفاظ بغير دلالة ظاهرة أو مُسوِّغ مُضمر ، ولا يقبض من معانيها إلا بمثل ذلك مما يجيز انقباض بعض معاني اللفظ عن سائره . وقد قال العقاد لصاحبته في الغزل الفلسفيّ « فيك من كلّ شيء » و « فيك من كل موجود » . والعرب

والفلاسفة جميعاً يزعمون أن لفظ (كلّ) إذا دخل على النكرة أوجب عموم أفرادها على سبيل الشمول دون التكرار . فكذلك أوجب الشاعر على صاحبته أن يشمل (جوهر شخصيتها) جزءاً من كلّ ما يمكن أن يسمى (شيئاً) ، ومن كل ما يسوغ أن يسمى (موجوداً وموعوداً) . وهذا الاطلاق من (فيلسوف يتغزّل) يقتضى شمول الأفراد من (كلّ شىء) ، ومن (كلّ موجود) . وليس يشك أحد — ممن لم يسلبهم الله « الطبع » و « العقيدة » ولم يحرمهم « الخيال البارع » — فى أن ما ذكره الرافعىّ فى كلامه — من البق إلى الملح الانجليزى — شىء من الأشياء وموجود من الموجودات . والفيلسوف حين يتغزل لن يريد هذا بغير شك ، ولكن أين تذهب بمعنى اللفظ (كلّ) فى العربية ؟ وفى حدود الألفاظ التى تدور على ألسنة الفلاسفة ؟ وأى دلالة توجب قبض معنى الشمول من هذا اللفظ ؟ أو أىّ مُسَوِّغ يجيز الحد من الاحاطة التى يقتضيها هذا الحرف فى مجرى قول الشاعر « فيك من كل شىء » وفيك « من كل موجود » ؟ !

هذا بعض القول فى فساد ألفاظ هذا البيت ، وبطلان معنى الفلسفة فيه . ولا يفوتنى فى هـذا الموضع أن أدل على موضع الضعف فى فهم الأستاذ قطب لكلام الرافعى . فالرافعى يقول : « قلنا ، فإن من — كل موجود — البق ... الخ » ، والأستاذ الأديب البارع يقول وكأنه يشرح معنى الرافعى : « فأى طبع سليم يتجه إلى تفسير بيت غزلى ... بأن « كل موجود » هو البق والقمل ... الخ » ؟ غافلاً عما فى هذا الإحساس من « حياة » و « خيال بارع » ، تثيره طبيعة فنية ، فيرى فى هـذه المرأة من متنوع الصفات وشتى المزايا عالماً كاملاً من كل موجود وموعود » . والرافعى رحمه الله لم يقُل إن (كل موجود) هو البق ... الخ ، وإنما قال إن من (كل موجود) ، أى من أفراد الموجودات ما يسمى بقاً ... الخ ، فالحرف (من) فى كلام الرافعى ليس هو الحرف (من) الذى فى شعر العقاد حتى يجوز ما ذهب إليه الأستاذ قطب بما ساء من تعليقه

وقد أطلت القول فى تقرير نقد توحى بصحته سلامة الفطرة ، وحسن الذوق ، وصفاء القريحة ، ويوجبه اصطلاح المنطق ، وحد الكلام ، وإتقان الفلسفة ، ويقتضيه ما ذهب الشاعر يسرده مما هو « فى صاحبته » معدداً مبيناً مفصلاً حتى انتهى إلى إجمال المعانى فى هذا البيت . فقد قال لها : فيك من الشمس والبدر ، ومن الربيع والشتاء ، ومن غناء الطير ونوح الحمام ، ومن انسياب الماء ، ومن طبائع الوحش ، ومن حركة الأسماك ، وفيك من جوارح الطير ، ومن النعام ، ومن نار الحيا تَين ، ومن الموت الزؤام ، ومن نقص الدنيا ، وكمال الآخرة ، ومن الملائكة ، ومن الشياطين ، ومن الخمر ، ومن القوت ، ومن الماء ، ومن الجوع ، ومن الأرض ، ومن السماء ، ومن عمل الأيام والدهور ، ومن الهندسة ومن الفن ... ثمّ

« فيك منى ومن الناس ومن كل موجود وموعود تؤام » !!

أفلا يدل هذا على أن الشاعر الفيلسوف كلّ التفصيل فرمى بالجملة فى (كل شىء) من (موجود وموعود) بعد الذى تعب فى بيانه وتفصيله وذكره وتمداده ؟ ؟ وأى شىء بقى له لم يعدده من متنوع الصفات ومختلف النزعات وشتى المزايا والعالم الكامل » ! إلا هَناتٌ هينات كذا وكذا ... وما ذكر الرافعى

هذا ... وقد اقتصر الأستاذ على نقل بعض كلام الرافعى فى نقد هذا البيت ونحن نتمه للقراء بعد ذلك :

« إن ذلك المعنى الذى بَنى عليه هذا المسكين غزَلَهُ الفلسفى قد مرّ فى ذهن أعرابىّ لم يتعلّم ولم يدرس الفلسفة ، ولا قرأ الشعر الإنجليزى والفرنسى والألمانى والفارسى ، وليس له إلا ذوقه وسليقته وطبيعته الشعرية ، فصفى المعنى تصفية جاءت كأنما تقطر من الفجر على ورق الزهر بقوله :

فلو كنت ماء كنتِ ماء غمامة ولو كنت درّاً كنت من درة بِكر
ولو كنتِ لهواً كنتِ تعليـل ساعة
ولو كنت نوماً كنتِ إغفاءة الفجر
ولو كنت ليلاً كنت قمراء جُنْـبُتْ
نحوس ليالى الشهر ، أو ليلة القـدر

(ولو كنت كنت) هذا أبدع عنوان لأجمل قصيدة فى فلسفة الغزل . وانظر كيف جعل الأعرابى حبيبته أصفى شىء ، وأغلى شىء ، وأسعد شىء ، وكيف صورها شعراً للشعر نفسه . ثم قابل هذا الذوق المصفى بذوق من يجعل حبيبته من كل شىء ، ومن كل موجود وموعود تؤاماً وزؤاماً وبلاءً عاماً » انتهى كلام الرافعى

فإن شئت أن تعرف كيف يتناول الشعراء هذا المعنى المغسول من الشعر « فيك من كل شيء » فانظر حيث يقول جرير ، وهو فيما نعلم أول من افتتحه :

ما استوصف الناسُ (من شيء) يروقهم
إلا أرى أمَّ عمْرٍ فوقَ ما وصفوا
كأنها مُزْنةٌ غرّاء واضحة أودرة لا يوارى ضوءها الصدف

وقد أحسنَ جرير تحديد المعنى وتجريده من اللغو (من شيء يروقهم) وجمل فى صاحبته من ألوان الجمال ما تهفو إليه نفوس الناس على اختلاف أذواقهم وتباين أنظارهم . وكأن أبا نواس نظر إلى هذا المعنى حين قال :

لك وجه محاسن الخلق فيه ماثلاتٌ تدعو إليه القلوبا

على أن جريراً قد ناقض وأحال وأفسد ما استصلح من شعره حين رجع فقال فى البيت الذى يليه : « كأنها مزنة ... أو درة » فإن هذا الحرف (كأن) للتشبيه ، والتشبيه يدعى قصور المشبه عن المشبَّه به ، وهو قد ادعى أنه يرى صاحبته فوق ما يصف الناس (من شيء) يروقهم أو يروعهم أو يفتنهم

ثم جاء مسلم بن الوليد بعقب جرير يقول :

مثالها زهرة الدنيا مصوَّرةً فى أحسن الناس إدباراً وإقبالا
أستودع العينَ منها كما برزت وجها من الحسن لا تُلقى له بالا
فالعين ليست ترى شيئاً تسرُّ به حتى تُريني لما استودعتُ تمثالا

ففارق مسلم جريراً حيث جعل صاحبته (زهرة الدنيا مصورة) أى محاسنها وتهاويل جمالها ، وأنه يجد عندها تمثالاً لكل حسن تسر به العين

ثم جاء أبو نواس فألبس الشعر والمعنى من توليده وحسن مأخذه ولطف عبارته فقال :

لها من الظرْف والحسن زائدٌ يتجددْ
فكل حُسْن بديع من حُسنها يتولَّدْ

ثم جاء أبو تمام فقصّر ، ولم يحسن اختيار اللفظ ، وأضعف روح الشعر فيه فقال :

أنظر فما عاينت فى غيره من حَسَن فهو له كله

وتناوله البحترى ، فزاد فيه معنى ، ولم يجوِّد نسجه فقال :

ترى العينُ ما تحتاجُ أجمعُ فيه وأهيف مأخوذ من النفس شكله

فالزيادة فى قوله « مأخوذ من النفس شكله » وهى جميلة لولا شناعة قوله (مأخوذٌ) ، ولو عدل فيها إلى مثل نهجه فى صفة الخمر

أفرغتْ فى الزجاج من كل قلب فهْى محبوبة إلى كلِّ نفس

لأجاد وبذَّ من سبقه . وقد فطن ابن الرومى إلى معنى البحتري فاتخذه لنفسه وسبّق حين قال :

وفيك أحسن ما تسمو النفوس له فأين يرغب عنك السمع والبصر

وقد قصر ابن الرومى فى الشطر الأول عن المعنى الذى أراده البحترى ، ولكنه جاوز البحتري ورمى به خلفه فى مقابلة قوله (ترى العين ما تحتاجُ أجمعُ فيه) بما قال (فأين يرغبُ عنك السمعُ والبصرُ)

ثم أدار ابن الرومى هذا المعنى ونقَّلَهُ من سواه حين قال :

لا شىءَ إلا وفيه أحسنهُ فالعينُ منه إليهُ تنتقلُ
فوائد العين منهُ طارفةٌ كأنما أخرياتهُ الأُوَلُ

ولقد كنت أتعجب لبيت العقاد كيف نزل مع كل هذا الشعر ، وكيف خفى عنه موضع التقييد من مثل قول جرير « من شيء يروقهم » ، وقول مسلم (زهرة الدنيا) و « شيئاً تسرُّ به » وما إلى ذلك ، ووجهتُه مع سائر القصيدة فلم يزل مختلاً ناقصاً معوجاً لا يستوى . وزادنى عجباً قوله فى نهاية الشعر (تُؤام) ، ولم أجد للفظ معنى ولا رأيت له وجهاً يتوجهُه مع مقاصد الغزل الفلسفى حتى وقعت لى أبيات ابن الرومي فإذا قوله (تؤام) ترجمة للفظ آخر هى لفظ (معاً) فى قول ابن الرومى ينحو إلى هذه المعانى بعينها

فالعين لا تنفكُّ من نَظَرِ والقلب لا ينفكُّ من وَطَرِ
ومحاسن الأشياء فيكِ (معاً) فَلأَ لتيك مَلالَتى بَصرِى
مُتعاتُ وجهكِ فى بديهتها جُددٌ وفى أعقابها الأُخَرِ
فكأنَّ وجهكِ من تجدُّدِه مُتنقّلٌ للعين فى صُوَرِ

وقول ابن الرومى (ومحاسن الأشياء فيك معاً) هو عمل الشعر فى معنى غسيلٍ قدَّم به العقاد لقصيدة غزل فلسفىٍّ وهو قوله : « فيك من كل شيء »

ورحم الله الصولى الذى يقول :

أعرفُ مِنها شَبهاً في كلِّ شيء حسَنِ

فقد أتى بالمعنى عاميًّا لطيفاً مجفُوًّا غير صنيع ، وهو على ذلك أرق من فيك مني ومن الناس ...

فهذا مذهب الشعر من لدن جرير إلى يومنا هذا ولم نستقصه في غرض واحد من أغراضه ، وذاك مذهب العربية في معاني ألفاظها ، وسبيل الفلاسفة في تحديد معانيها ، وفي ثلاثتها قصَّر بيت العقاد وفسد واستحال معناه وتهالك منطقه . فمن أين يمكن وصف الرافعي — إذا نقد هذا البيت — بأحد أمرى الأستاذ قطب : إما أن يكون ضيق الاحساس مغلق الطبع بحيث لا يلتفت هذه اللفتات الفنية بالشعور ... (وأين وأنى وكيف نجدها يا أستاذ الأستاذين ؟) وإما أنه يدرك هذا الجمال ولكنه يتلاعب بالصور الذهنية وحدها ، غافلا عما أحسه وأدركه ... وما ندرى كيف كان يحسه الرافعي رحمه الله ؟

أكان يحسه ويدركه بقوة الجوع والعطش في البيت الذي يليه

كيف بي أعزل إن أغنيتني أنتِ، حتى عن شرابي والطعام !

وأخيراً ، فقد خير الأستاذ قطب أصدقاء الرافعي بين أن يحكموا عليه باحدى كلمتيه أن يكون رحمة الله عليه مسلوب « الطبع » أو مسلوب « العقيدة » وقد تبين بعد الذي قلنا أن نقد الرافعي نقد « محكم » في سياق العربية ، وفي جوهر الشعر ونزيد فنقول إن قارئ القصيدة (غزل فلسفي) حين يقرؤها إلى أن ينتهي إلى هذا البيت : « فيك مني ومن الناس ... » لا يجد فيها من « الحياة » ولا من « الخيال » ولا من « غنى الشعور » ولا من « الاحساس الفني » — إلى آخر ما يتنبل به الأستاذ قطب — ما يجعل نقد هذا البيت بعينه دليلا على ضيق الاحساس واستغلاق الشعور ، والغفلة عن الجمال ، وفساد الانسانية في قلب ناقده .

وعلى هذا فقد سقط الدليل الأول من أدلة أحكامه على الرافعي وبان في ذلك ما امتاز به الرافعي من الدقة وصدق الاحساس في إدراك معاني الشعر وما فيه من غضارة ورُوقة وجمال

محمود محمد شاكر

بين الأديب وبين الناس

للآنسة فلك طرزى

(مهداة إلى الأستاذ توفيق الحكيم)

سيدى الفاضل صاحب الرسالة الغراء :

القطعة الأدبية التي أبعث بها اليوم إليك لتنشر على صفحات مجلتك الراقية ، استوحيتهـا من السلسلة الأدبية الأولى التي ينشرها تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم في الرسالة تحت عنوان « من برجنا العاجي »

وقد كتبتها يوم كنت في حلوان أنعم بجو هذه المدينة الساحرة وأنفس عن صدري بنشق أرج النسيم المعطر بعبير الزهر المتدلية عناقيده وباقاته في روضات حدائقها النضرة ، فأشعر بأثر الصحة يتغلغل بين جوانب هذا الصدر قوياً حاراً يبعث فيه السرور والبهجة والنشاط . ولا غرو فان أسعد أيام حياتي الذاتية هي تلك التي قضيتها على شاطىء وحدة هذه المدينة الفاتنة تحت بواسق نخيلها وفي ظل صمتها وسكونها

كتبتها يومئذ ثم حالت شواغلي دون نشرها فطويتها بين أوراق إلى أن عثرت عليها اليوم بينما كنت أقلب في هذه الأوراق ، فرأيت أن أرسلها إليك لتنشرها في « رسالة » الفن العالي والأدب الصادق الحي ، ولو أن نشرها سيجيء متأخراً

لو علم الناس كيف يعيش كل أديب أو مفكر في هذا الوجود ، ولو علموا نوع الحياة التي يقضيها هذا الأديب أو ذاك المفكر مرتبكا حائراً بين متناقضات تتركب منها نفسه ، لكفوا عن توجيه الملام إليه ، ولاقتصروا عن نمته بمختلف النعوت والصفات التي لا تنطبق ألبتة على حقيقته مكتفين بالاقرار أن نفسه غير نفوسهم ، وأن إحساسه لأبعد غوراً وأعمق نفاذاً من إحساسهم ؛ ولكن يظهر أن الحياة التي منحهم إياها القدر حين شيعهم إلى باب الوجود قائلا لهم : اذهبوا فان لكم الحياة ولكن ... قد غشت أبصارهم بغشاوة الجهل فلم يدركوا مغزى « لكن » هذه التي يخفى باطنها وينم على معان كثيرة فاتهم إدراكها ، كما فاتهم أيضاً رؤية البسمة الساخرة التي ارتسمت على ثغره الهازىء المتهكم ساعة شيعهم إلى باب الوجود ! فما علموا أن القدر منحهم أشياء وسلبهم شيئاً هو أعظم أشياء الدنيا

وأغلاها قيمة ! وما دروا أن القدر حرمهم نعمة لا يبلغ قمتها العالية سوى من ذاق مرارة الألم التى يولدها الفكر والاحساس ، ومن شعر بقلبه يهتز بين جنبيه مختلجاً حائراً بين إحساس وإحساس وبين فكرة وفكرة

غير أن « لكن » ثابتة كما قلت يا سيدى قد نطق بها القدر أيضاً حين دفع بالأدباء والمفكرين إلى الوجود وأرفقها بصيحة ألقاها فى وجوههم قائلاً : « إذهبوا فإن لكم الفكر ولكن.. » فبلغت « لكن » هذه من شدة دويها مبلغاً جعلهم شديدى الإنصات إليها ، حريصين على ألاّ يفوتهم سماع الصدى الهائل الذى ينبعث من انفجاره فى أنفسهم ، فيتفتح فيها من جراء هذا الانفجار منافذ وأبواب على العالم الغامض ، لينطبع على صفحات هذه النفوس كل صورة ومشهد من صوره ومشاهده ، وكل ما يحوى من حقائق مُرة لاذعة ، وخيالات جميلة عذاب

ولا إخال الجماعة الذين أدركوا معنى « لكن » هذه وسبروا غورها العميق فعرفوا أن باطنها يحوى متعاً من الحياة قد سلبهم إياها الفكر والشعور ليمنحهم نعمة الشفاء ولذة الألم — قد يحسدون يوماً من الأيام بقية الناس الذين نعموا بالحياة وبكل ما تحويه الحياة وحرموا نعمة واحدة هى أسمى النعم وأرفع اللذات وأعنى بها نعمة الشعور الذي يولد التفكير الصحيح

وإذا حملهم أحياناً فيض شعورهم لشدة ما ينتابهم من جرائه على حسد أولئك ، فإن هذا الحسد لا يدوم إلاّ لحظات ، ولا يطول أكثر من فترات . ذلك لأن « النوع » الرفيع العالى الذى يطبع سعادة جماعة الفكر والأدب بطابعه السحرى ، لا يستطيع غيرهم من الناس إدراك كنهه العميق وليس بوسعهم بلوغ قمته العليا

وهل بإمكان البواعث التى يسعد بها الناس أن تبعث فى نفس الأديب أو المفكر أية سعادة ما ؟

وهل تسر هذا الأديب أو ذاك المفكر نفس المسرات التى يغتبط بها بقية الناس ؟

قد تسعد الأديب ذات البواعث التى تسعد الناس ، وقد تسره الأسباب التى تسرهم ، غير أن ما يميزه عنهم ويجعل فروقاً بين سعادته وسعادتهم وسروره وسرورهم هو ما يمكن أن تخلفه هذه السعادة وذاك السرور فى نفسه من عميق الأثر وما قد ينتج عن هذا الأثر من معان وفكر قد تحولهما — أى السعادة والسرور — إلى عكسهما بعد أن يخضعهما الأديب إلى قوانين التحليل والتدقيق

ولكم سخر أدباء من سعادة كثير من الناس وفضلوا عليها شقاوتهم وحيرتهم ! ولكم لام المفكرون ونقدوا أساليب ووسائل يستعين بها أشخاص لبلوغ أمنية السعادة المنشودة دون التفريق بين أسلوب وأسلوب والتدقيق بين وسيلة ووسيلة !

فاذا كان الفكر الانسانى قد حكم على كل مفكر وأديب أن يحبس نفسه فى مقر ذاته العميق ، وأن يرسل نبرات صوته بين أرجاء السكون الذى يملأ هذا المقر ، ثم لا يسمع غير صدى هذه النبرات !

وإذا كان قد قضى عليه أن يعيش فى تلك العزلة الموحشة عزلة نفسه التى يحرسها « تنين » الوحدة ، فعزاؤه عما فاته من متع الحياة أنه يصغى فى كل لحظة من لحظات عمره القصير بعدد السنين المديد بمقدار الدقائق إلى كل همسة من همسات ضميره ونفسه ، وينصت إلى كل نغمة من نغمات الحياة التى لا تنفك أوتار قلبه تعزفها على قيثارة الضلوع

فلنتغنَّ إذن بين جدران أنفسنا الشاهقة ، ولنرسل ألحان هذه الأغانى موسيقى تحوى أنغام الحياة على أنواعها فتتحول عند سقوطها فى القاع — قاع أنفسنا — صوتاً قوياً تنبعث منه نبرات الحياة حارة بليغة

« دمشق » فالك طرزى

آراء حرة

بين العقاد والرافعى

للأستاذ سيد قطب

كنت قد أعددت هذه الكلمة قبل أن أقرأ كلمة الأستاذ سعيد العريان الأخيرة ، ومقدمته لها . فلما قرأتها لم أجد أن أغير فى كلمتى شيئاً ...

وبقى أن الأستاذ يقول عما كتبت : « ومع ذلك فان ما أتى به من النقد ليس بشىء عندنا » . فان كان يكفي فى الحكم أن يقول الانسان هكذا فيكون ذلك قضاء ، فاننا — على طريقته — لاتتكلف أكثر من حذف أداة النفى فنقول : هو « (بشىء) عندنا » وبذلك تنتهى !

وبقى أنه عرض بى فى ثنايا مقاله بعد ماتخلي عن الرد وقال إنه مؤرخ .. تعريضا غير لائق . فما مثلى بمن يحتاج لمن يفهمه أدب الرافعى وليس فيه شىء لمثلي غير مفهوم ، وماهو بصاحب طريقة فى الفكر والفن ، إنما هو صاحب طريقة فى التعبير ، وأنا أحد الاخصائيين فى اللغة التي يعبر بها

على أن هناك مايضع حداً للجدل . أليس الأستاذ سعيد العريان يفهمه ؟ . بلى . فأنا إذن من باب أولى أفهمه .

سيد قطب

— ٣ —

حين قال الأستاذ سعيد العريان عن نقد الرافعى لوحى الأربعين : إنه بلغ فيه ذروته ، وجمع كل فنونه ، كان صادقاً فى قوله ، وكنت مخطئاً فى الاعتراض عليه ، كما اتضح لى الرأى فى هذا الأسبوع الأخير !

وحين قلت : إن الرافعى أديب « الذهن » لاأديب « الطبع » وأنه ينقصه « القلب » المهيأ للحب ، وأنه لايعنيه إلا أن يصور الحقائق الوقتية الصغيرة فى صورة خلابة ، لم يكن هذا المعنى واضحاً محدداً فى ذهنى كما اتضح فى هذا الأسبوع الأخير !

وحين ذكرت أن الرافعى ذكى ، قوى الذهن ، كنت متسامحاً جد التسامح أو مبالغاً جد المبالغة ، ولم أعلم ذلك كله علم الأسبوع الأخير ! وإليك البيان ...

حينما أمسكت بالقلم لأكتب الكلمة الأولى بهذا العنوان ، كان فى ذهنى ونفسى صدى مطالعاتى القديمة للرافعى ، وهو صدى غامض يدل على الجملة ، ولا يعد الناقد بالتفصيل .

وحينما كتبت الكلمة الثانية ، لم يكن بين يدي إلا نقده لوحى الأربعين ، فأبديت رأيي فيه كما رأى قراء الرسالة

ولكنني حين رحت أتلمس الأمثلة من بعض كتب الرافعى وأخترت أن أبدأ « برسائل الأحزان » ، اصطدمت بالرافعي من جديد ، واختلف الصدى الغامض القديم ، عن الصوت الواضح الجديد . (أحسست صدق الأستاذ سعيد فى نعته لنقد وحى الأربعين ، فإنه — على مابه — فى الذروة من نتاج الرافعى كله كما قال !

وأحسست أننى أخطأت فى عدم تحديد « الذهن » الذى قلت إن الرافعى يصدر عنه فى أدبه ، فمن الذهن ماهو سليم أو مريض ، وماهو مشرق أو خابٍ ، وما هو متفتح أو مغلق ... إلى مالا نهاية له من ألوان الأذهان !

وأحسست أننى خدعت فى « قياس ذكاء » الرافعى ، ومعرفة طبيعته ودرجته ، حتى ردتنى إلى القياس الصحيح « رسائل الأحزان » ! وإننى لأحس بالغضاضة فى هذا التراجع ، فيعزينى عنه « الصدق » الذى أعبر عنه حين أنصت لاحساسى وأصور حقيقة رأيى .

***

الرافعى أديب الذهن ، ولكنه الذهن الملتوى المعاظل المداحل الذى لا يستطيع أن يسلك أقرب طريق إلى مايريد ، بل يتخذ الدروب والمنحنيات ، ويلتف حول نفسه ، ويعصر نفسه ، مرة ومرة ، قبل أن يصل إلى الحقيقة الهينة الصغيرة ، التى تعثر بها الأذهان المستقيمة مدى ذراع .

والرافعى يصدر فى أدبه عن ذكاء ، ولكنه ذكاء اللمحة والومضة ، لاذكاء الاشراق والصفاء . الذكاء الذى يخبط بجناحه هنا ، ويخبط بجناحه هناك ، فيهيىء للناظر أنه يرفرف ويطير ، والواقع أنه مكب على الثرى ، وما هى إلا خفقات الجناح

والرافعى فى رسائل أحزانه يتراءى كأنما يتمطى فى أغلال ، أو يتنزى فى وثاق ، يحاول أن يتفلت من هذا وتلك ، وهو ينغض رأسه ويضرب بقدميه ، ويضرس أنيابه ، فى حركات عصبية ، ليخلق اللفظة بعد اللفظة ، والجملة بعد الجملة ، والخاطرة بعد الخاطرة ، في جهد وعناء !

وإنك لتسأل بعد قراءتها : أهذه رسائل حب ؟ أو ذكرى حب ؟ وأنت خليق أن تفتقد فيها الانسان قبل الفنان

* * *

إسمع قصيدة صدر بها أحد كتبه ولا شك أنه معجب بها ، إسمع الشعر الذي يعجب من ينقد شعر العقاد فى الحب :

من لمحب ومن يعينه ؟ والحب أهناه حزينه
أنا ما عرفت سوى قسا وته فقولوا كيف لينه
إن يقض دين ذوى الهوى فأنا الذى بقيت ديونه
قلبى هو الذهب الكر يم فلا يفارقه رنينه
قلبى هو الألماس يعـ رف من أشعته ثمينه
قلبى يحب وإنمـــا أخلاقه فيـه ودينه

فهذا الشاعر الذى ينقد شعر العقاد فى الحب ، هو الذى يعجبه ما يقلد من شعراء الدول المتتابعة والمماليك فى مصر ، وشعراء أواخر العهد العباسى فنسمع رنين شعرهم فى :

« إن يقض دين ذوى الهوى فأنا الذى بقيت ديونه »

يعجبه هـذا الذى لا يرتفع مستواه الفنى على أن يذكر « قلبه » فى سوق « الجوهرات » من الذهب والألماس ، معتقداً أن تلك « المعادن » أثمن من « القلوب » لأنهـا تقوّم بالمال الكثير فى السوق

وما عن تهكم أصدر فى هذا التعبير ، فهى حقيقة تعززها الأمثلة الكثيرة فى « الرسائل » وسيأتى هذا فى موضعه

أما القصيدة بعد هذا فخطبة منبرية ، لا تعرف إن كان صاحبها محباً حياً يثير الحب فى نفسه وأعصابه دفعات الحب ، وينبه خوالجه وخواطره ، ويعمق إحساسه بالحياة ، ويضاعف شعوره ، أم إنه واعظ يدعو فى جفاف وجفوة إلى « عدم الاعتداء على الأعراض » بأسلوب لا يتصل بالقلوب ، كمعظم خطباء المساجد فى هذه الأيام :

يا من يحب حبيبـه ويظنه أمسى يهينه
وتعف منه ظواهر لكنه نجس يقينه
كالقبر غطته الزهو ر وتحته عفِنٌ دفينه
ماذا يكون هواك لو كل الذى تهوى يكونه
دع فى ظنونك موضعاً إن الحبيب له ظنونه
وخذ الجميل لكى تزيـــن الحسن فيه بما تزينه
إن تنقلب لص العفا ف لمن تحب فمن أمينه

الخ ... الخ

ولعل أصدقاء الرافعي فى نشوة حين يطالعهم بهـذه الصورة الذهنية :

كالقبر غطته الزهو ر وتحته عفِنٌ دفينه

ولكن أين هذا أيها « الاحياء » فى عالم الحب الحى ، وإن هو إلا « اللعب على الحبل » فى هذا الميدان ؟

* * *

ثم ماذا ؟ ثم اسمع الشاعر الذى لا يعجبه شعر العقاد فى الحب:

حسناء خالقها أتم جمالهـا سألته معجزة الهوي فأنالها
لمـا حباها الله جل جلاله بالحسن منفرداً أجل جلالهـا
تضنى المحب كأنما أجفانها ألقت عليه فتورها وملالها
هيفاء قد شب النسيم قوامها غصناً فإن خطار النسيم أمالها
سيالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها

هكذا نعود إلى شعراء الدول المتتابعة فى التكلف والمعانى المطروقة التى يباع كل عشرة منها بقرش فى هذه الأيام ! ولا نرتفع عن « الأجفان التى تلقى على المحب فتورها وملالها » ، ولا عن « النسيم الأعمى أو الأصم أو الثقيل الحس الذى يحسب المحبوبة غصناً ، لعماه أو صممه أو ثقل حسه ، فيميلها عند مروره !

وهكذا لا ندخل أبداً فى زحمة الحياة وتياراتها ، ولا نحس الحياة فى خالجة أو خاطرة ، ولا « نعيش » فى هذا الحب عيشة الأحياء الذين يتأثرون بحسهم وأعصابهم وخوالجهم بجانب أذهانهم ، أو حتى الأحياء الذين تلتفت أذهانهم وحدها إلى صور الحياة وأشكالها ، ودوافعها وأمواجها ولو لم يندمجوا فيها ، ويتأثروا بها !

ولكن لا ، فقد كسبنا التفاتة ذهنية رخيصة ، لا بل التفاتة عرفية أو كلامية ، فان هذه الحبيبة لما « انفردت » فكانت لها صفة « الوحدانية » فى الحسن « أجل جلالها » الله « جل جلاله »

فليلق بالهم إلى ذلك علماء « الكلام » ، فما كتب إلا لهم

وحتى لا تفهم أن الشاعر قديم ، اقرأ التجديد الذى تندق دونه الأعناق !

سيالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها

أفبعد « الكهرباء » وهى آخر ما كشف من قوى الطبيعة قولة لقائل من المجددين الذين ينقدهم الرافعى النقد الشديد ؟

فمن يكن فى شك أو ظل من شك فليقرأ ، ليعرف أنها لم تكن خطرة عابرة فى التجديد ، وإنما هى عن تعمد وسبق إصرار

يا نجمة أنا فى أفلاكها قمر من جذبها لى قد أضللت أفلاكى

هناك الكهرباء ، وهنا الجاذبية ، أبعد هذا يكون شك أو ظل من الشك ؟ لا . وألف مرة لا !

ولا شىء وراء هذا العبث الذى لا نريد له نقاشاً وإن كان فيه — لو شئنا سلوك طريقة الرافعى فى النقد — مجال لمشرات الغمزات والتهكمات

* * *

وقد قلت لك : إن الرافعى يغالى « بالجوهرات » فاسمع : يقول للصديق المفروض أن هذه الرسائل تكتب إليه . إنه سيقص له قصة حبه لا بالترتيب

« فإن هذا مما يحسن فى تاريخ صخرة تتدحرج ، أما أنا فسأقدم لك تاريخ لؤلؤة فريدة »

ولست أدري الفرق لدى الفنان « الحي » بين أن يقص تاريخ صخرة وتاريخ لؤلؤة إلا أن يكون «الثمن» هو الفارق بينهما .

أفهم أن يقول : « إن هذا مما يحسن فى تاريخ صخرة ، أما أنا فسأقدم لك قصة حياة . أو قصة بنية حية يدخل فى تأليفها ودوافعها شىء غير الزمان والمكان ، هو الحس والشعور . أو تاريخ نبتة تنمو من داخلها أكثر مما تنمو في خارجها » أو أى تعبير آخر يدل على أن القائل يستشعر الحياة فى أعماقها ، أو ظواهرها على الأقل ، ويرى « القلب » شيئاً حياً ، جماله فى حياته ، وإن لم يقوّم فى سوق الجوهرات بعشر ماسة أو قطعة صغيرة من الذهب ! ثم اسمع : يقول فى إحدى الرسائل : « أما سمعت بذلك الأعرابى الذى قيل له : ما بلغ من حبك لفلانة ؟ » فقال : والله إنى لأرى الشمس على حائطها أحسن منها على حيطان جيرانها ... ، قد والله صدق وبرت يمينه » فإن فى كلماته الشعرية لأثراً من « عينيه » ، إذ يرى الشمس على حائطها كالشمس على « البلور الصافى » لا على الحجر والمدر »

إن الأعرابى ليرتفع إلى الذروة الفنية فى قولته الساذجة ، ويخيّل إليك الحياة المشرقة فى « ضميره » ، — لا عينيه وحدها — وهو ينظر إلى الشمس على حائط حبيبته ويكشف عن « الخصوصية » الدقيقة التى ترى « شمس حبيبته » وكأنها خلقة خاصة بهـا لا يشاركها فيها سواها ... الخ ما يتسع له التصور من ألوان الامتياز الوجدانى فى هذا الأعرابى

ولكن صاحبنا لا يرى فى هذا إلا أن « الشمس على حائطها كالشمس على البلور الصافى ، لا على الحجر والمدر »

فدار الجمال إذن هو نفاسة ما تطلع عليه الشمس وثمنه فى السوق ، ولا شك أن البلور أغلى من الحجر والمدر !

ولعله هو أو أحداً من أصدقائه لا يستطيع أن يصدق أن الشمس على « الحجر والمدر » الرخيصين أجمل ؛ أو على الأقل قد تكون فى وضع ما أجمل من الشمس على « البلور » الغالى الثمن ، وذلك عند « الطبع » الحى ، الذى يعيش فى الحياة الرحبة ، لا فى سوق الجوهرات !

واسمع ... فى رسالة أخرى :

« ثم يجرى كلامه فيها شعراً خالداً مطرداً كنهر الكوثر فى رياض الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت »

أرأيت ؟ الذهب والدر والياقوت !

ولا يتشكك صاحبنا فى أن النهر الذى حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت أجمل من النهر الذى حافتاه من العشب الأخضر ، ومجراه على الرمل والطين .

لا يلتفت إلى أن الأول مصنوع قد يبهج العين لحظة ثم لا تحس وراءه حياة ، ولا معني أعمق من ظاهره ، فتمله النفس ؛ أما الثانى فهو لا يأخذ « العين » بالبريق والوهج ، ولكنه يملأ « النفس » بالروعة والجمال ، ويتيح لها التأمل العميق فى الطبيعة ، والاندماج بين الحياة الجارية فى النهر والحياة الجارية فى النفس ، لقرب النشأة والتكوين

لا لا . فالمهم هو البريق الذي يخلب الحس ، والأهم هو « السعر » المقدر للياقوت والطين . وشتان شتان !

* * *

وبعد فقد كان فى هـذه الأمثلة الكفاية لتوضيح نظرتى فى الرافعى والبرهان عليها ، وكل مثال يغني عن سواه . وقد تعمدت أن أختارها من اللفتات الصغيرة الخاطفة ، ومما يستجاد عند مدرسته ، وهى أدل على طبيعة الفكر ومعدن الذهن

ولكن لدى أمثلة فى نهج آخر يؤدى إلى النتيجة نفسها ، وموعدى مع قراء الرسالة فى ذلك كلمة أخرى بعد أن طال هذا المقال

(حلوان) سيد قطب

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٨ —

— كان فضيلة الشيخ دعاس العيسوى والد عبد الحسيب يقيم بالزمالك ، أعنى فى بولاق

— ما هذا الخلط يا ظمياء ؟

— كنا نفهم أنه يقيم بالزمالك ، ثم عرفنا أنه يقيم فى بولاق ، وقد فهمنا أن سكان بولاق يحبون أن يسموا محلتهم زمالك

— شىء غريب !

— وما وجه الغرابة فى ذلك ؟ إن بولاق تشرف على النيل كما تشرف عليه الزمالك

— ولكن بولاق فى الضفة الشرقية ، والزمالك فى الضفة الغربية ، فبولاق شرق ، والزمالك غرب ، والشرق والغرب لا يلتقيان

— إيش لون ؟

— هذه معان لا يفهمها غير الفلاسفة يا ظمياء

— وكنت أذهب فى صحبة ليلى إلى منزل الشيخ دعاس العيسوى ، وكان شيخاً يقارب الستين ، ولكنه كان أعجوبة الأعاجيب فى منازلة النساء . كان يصوّب بصره إلى ليلى ويقول: « يا بنت يا كهرباء » وكانت ليلى ترتاح لهذا الوصف الطريف . ولعلها كانت تود لو سمعت هذه العبارة الطريفة من عبد الحسيب ، وكانت السيدة نجلاء ...

— هل تعرفين شيئاً من تاريخ نجلاء ؟

— أعرف كل شىء : كانت فتاة خفيفة الروح عرفها الشيخ دعاس وهو يصطاف في لبنان قبل الحرب بأعوام طوال ، فتزوجها ونسى من أجلها زوجته وأبناءه في (شمون)

— وهى أم عبد الحسيب ؟

— بالتأكيد ، وعنها ورث خضرة العينين

— فهمت . هاتى بقية الحديث

— وكانت ليلى ترفض الجلوس على المائدة مع الشيخ دعاس وابنه عبد الحسيب ، ثم استأنست بعد حين ، فقد اطمأنت إلى شرف القلوب فى ذلك البيت . وكان فضيلة الشيخ دعاس يتناول على المائدة دواء كُميت اللون يصلح الأمعاء . وكان هذا الدواء يُحفَظ فى صِوانٍ خاص ويُقدَّم إليه فى الغداء والعشاء . وفى ظُهر يوم طُرق الباب وأعلن الخادم قدوم الشيخ الزنكلونى فأسرعت ربة البيت وأخفت زجاجة الدواء . ودخل الشيخ الزنكلونى فرأيناه رجلاً عليلاً وعجبنا كيف يبخل عليه الشيخ دعاس بقطرة من الدواء الذى يصلح الأمعاء

— عمن تلقيتِ دروس اللؤم يا ظمياء ؟

— تلقيتها عن طبيب مصرى يقيم في بغداد

— وأين عيادة هذا الطبيب ؟

— هو طبيب بلا عيادة ، على وزن وزير بلا وزارة

— فهمت . ويسرني أن يكون تلاميذى جميعاً أذكياء . وماذا صنع الشيخ الزنكلونى حين رأى ليلى ؟

— قبّل جبينها وقال : أنت درية ؟ فلما عرف أنها فتاة من العراق قبّل جبينها مرة ثانية وقال : أنا أحب العراق ونسائم العراق وجميع ما يرد من وطن أبى حنيفة النعمان . إسمعى يا بنيتى ، أنا من الشافعية ، ولكنى أستظرف الحنفية

وهنا تدخل الشيخ دعاس فقال : ولكن أبو حنيفة كان يبيح النبيذ

فثار الشيخ الزنكلونى وقال : هذه دسيسة مذهبية ، فما أباح أبو حنيفة النبيذ ، وإنما أباح العرقسوس

وتشجعت ليلى فقالت : رحم الله أبا حنيفة فقد كان يعرف أن العرقسوس يصلح الأمعاء

وكانت أول مرة فهم فيها الشيخ دعاس أن ليلى لم تكن من الغافلات

ثم دعانا الشيخ الزنكلونى لزيارة منزله فى حارة أم الغلام

— وزارته ليلى هناك ؟

— وعدتْ ثم أخلفتْ ، فقد رابها تظرف المشايخ

— ضيعتم فرصة ثمينة يا ظمياء . فما الشيخ الزنكلونى متظرفاً وإنما هو ظريف

— سنزوره حين نرجع إلى مصر يا مولاى

— ومتى ترجعون إلى مصر ، يا ظمياء ؟

— حين تسمن الأسماك

— ومتى تسمن الأسماك ؟

— حين ينضج التوت

— ومتى ينضج التوت ؟

— حين تعقل ليلى وترجع إلى التلطف مع طبيبها النبيل

— إذاً لن ينضج التوت ولن تسمن الأسماك

— صبراً يا دكتور فان الله مع الصابرين

— سأصبر يا طفلتى الغالية ... ولكن كيف كانت ليلى مع عبد الحسيب ؟

— كانت تتغطرس عليه كما تتغطرس عليك ، فتتجاهل ما تملى عليه الصبابة من نظرات وأحاديث . والمحبون يتغطرسون لأنهم أذلاء ، ولو كانوا على شيء من العزة لاحتقروا الكبرياء . وهذا هو السبب فى أن الأحباب يُحرم بعضهم عطف بعض . فالحبيب يريد أن يذل له المحب ، والمحب يريد أن يذل له الحبيب ؛ وفى ظلمات هذا العناد السخيف تنفصم الأواصر والصلات . وكان المسكين عبد الحسيب يسلك إلى قلب ليلى كل سبيل . كان يحتال ليظفر منها بابتسامة . كان يُغرب فى سرد أخبار الشيخ كراوية

— ومن الشيخ كراوية يا ظمياء ؟

— أستاذ كان يدرس اللغة العربية بمدرسة المساعى المشكورة بالزقازيق .

— أنت جاهلة يا ظمياء ، فمدرسة المساعى المشكورة فى شبين الكوم لا فى الزقازيق

— أؤكد لك أنها فى الزقازيق . ولك أن تسأل ليلى فعندها الخبر اليقين

— إذا أخذت العلم عن ليلى فعلى العلم العفاء

— وكان عبد الحسيب يقف فيقلد صوت الشيخ كراوية وهو ينشد قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

وكان يصوّب بصره إلى ليلى حين يصل إلى عبارة « وهن أضعف خلق الله إنساناً » ، وكان يرضيها أن ترى هيامه بها فتبالغ فى التغطرس والازدهاء

وفى إحدى العصريات دخل عبد الحسيب غضبان فانزعج الشيخ دعاس وانزعجت السيدة نجلاء ، فنظرت إلى وجه ليلى فرأيته يشبه دجلة فى أيام نيسان

— إيش لون ؟

— وأنت يا مصرى تقول « إيش لون ؟ »

— إيش لون ؟ إيش لون ؟

— دجلة فى نيسان تحاول من فرط الشوق والحيوية أن تلطم وجه بغداد

— وكانت ليلى تحب أن تلطم وجه عبد الحسيب ؟

— كانت تهمّ بافتراسه لأنها كانت تنكر أن يدرك معنى البؤس وهى فى دنياه

— كانت تحبه ؟

— وأي حب ؟ وهل فى الدنيا فتاة تحبس قلبها عن فتى وافر الرجولة متين الأخلاق ؟

— وماهى أسباب ذلك الغضب الذى سيطر على عبد الحسيب؟

— قال إنه تلقى محاضرة فى مدرسة البوليس ألقاها الصاغ على حلمى عن « القوة المعنوية » فثار صدره وعجب كيف يعجز عن التسلح بالقوة المعنوية ، وجلس على المائدة وهو فى غاية من الثقل ، فلا نوادر ولا فكاهات ، ولا الشيخ كراوية ولا عبد الله شعيب . فعرفت ليلى أن الشاب ابتدأ يحاربها بلا رحمة ولا إشفاق . آه ، ثم آه !

— لا تتأوهي يا ظمياء فقد مزقت قلبي

— تحبنى يا مولاى ؟

— استحى يا ظمياء فأنت في حضرة طبيب

— وبعد ليال دعتنا السيدة نجلاء لسماع المغنى عبد اللطيف البنا فى ملاهى المعرض فسمعناه يقول :

« سلامة القلب من حبك يا قاسى »

فتحدرت مدامع ليلى وأصابها إغماء . وكانت ليلة قضيناها فى كروب وأشجان . وفى الليلة التالية صممت ليلى على أن نذهب وحدنا إلى ملاهى المعرض ، فسمعنا أم كلثوم تغنى

يا للى شغلت البال ياليت أكون على بالك

الوجد له أحوال يا ليتنى أعرف حالك

فأخذت ليلى تبكي بكاء لاتجود بمثله عيون الأطفال ، فخشيت أن نفتضح وأخذتها فى سيارة إلى المنزل الذى كنا نقيم فيه بشارع قصر النيل ، واحتبسنا عن جميع الناس ثلاثة أسابيع

— ثم ماذا ؟

— ثم تفضل الشيخ دعاس والسيدة نجلاء والآنسة درية بالسؤال عنا فتشجعت ليلى وسألت عن عبد الحسيب ، فابتسم الشيخ دعاس وقال : تحبينه يا ليلى ؟ فقالت : ما أحبه ، وإنما أشتهى أن يحدثنى مرة ثانية بحكايته يوم تشيطن فأخذ زجاجة الزيت وملأ بها حابر زملائه من التلامذة الأقباط حين كان تلميذاً بمدرسة المساعى المشكورة الثانوية

وقهقه الشيخ دعاس وهو يقول : وما رأيك يا ليلى إذا كان التلامذة الأقباط أصبحوا يرحبون بوضع الزيت فى محابرهم على أيدى التلامذة المسلمين ؟

ولم تفهم ليلى ما يريد ، فاستطرد الشيخ دعاس قائلا : نحن ائتلفنا يا بنيتى على يد الشيخ الصالح سعد زغلول ، وأنا وضعت قواعد الائتلاف قبل سعد زغلول، فزوجتى نجلاء كانت مسيحية وأسلمت لتربط بين مصر ولبنان . فما رأيك لو خطبتك لعبد الحسيب ؟

فاستأنست ليلى وقالت : هل قرأت يا فضيلة الشيخ أخبار عمر بن أبي ربيعة ؟

فقال : ما قرأتها ، لأن أخبار عمر بن أبي ربيعة لا تدرس فى الأزهر الشريف

فقالت ليلى : كان ابن أبي ربيعة يستهوى جميع النساء اللائى يشهدن موسم الحج ، إلى أن فتنته امرأة عراقية ، فراودها عن نفسها فاستعصمت ، فخطبها لنفسه فأبت وقالت : تعال إلى العراق واخطبنى من أهلى . وكان ابن أبي ربيعة ماجناً فلم يتبع معشوقته إلى العراق ، وحرمه المجون من التشرف بمصاهرة أهل العراق . فان كان عبد الحسيب صادقاً فى حبي فليمض إلى العراق وليخطبنى من أهلى هناك

وعرف الشيخ دعاس أن هزل الحب جد ، فانصرف وهو مكروب !

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم انتظرنا أسابيع فلم يسأل عنا الشيخ دعاس ولا ابنه عبد الحسيب ، فرجعنا إلى العراق ونحن نبكى سلامة الأخلاق فى بلاد الفراعين

— شيء مزعج ، شيء مزعج !

— لا تحزن يا مولاى ولا تبتئس ، فقد وقعت أعاجيب

— أفصحى يا ظمياء

— فى اليوم الثالث والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٢٦ طرق الباب زائر غريب، فنظرنا فاذا هو الضابط عبدالحسيب بعينيه الخضراوين وقوامه الرشيق ؛ وهجمت ليلى عليه فقبلت جبينه وخديه بلا تهيب ولا استحياء ، ودعوناه للنزول فى ضيافتنا فرفض، وقال إنه جاء لخطبة ليلى، وإنه ظفر بدبلوم مدرسة البوليس، وإنه مرشح لرياسة نقطة النعناعية ، فنظرت ليلى إليه بعينى اللبؤة العادية وقالت : لن أقبل يدك أو أختبر أخلاقك!

— ثم ماذا ؟

— ثم استيأس الشاب المسكين وقال : وبأى صورة أعيش فى بغداد ؟ فقالت ليلى : ذلك إلىّ

— ثم ماذا ؟

— ثم تحملت ليلى بأهلها ومعارفها إلى نورى باشا السعيد وكان يومئذ وكيل القائد العام ، وكان برتبة زعيم فألحق الضابط عبد الحسيب بالجيش العراقى بحجة التقريب بين مصر والعراق

— شيء جميل !

— انتظر يادكتور ، فقد أفسدت ليلى كل شيء

— وماذا صنعت الحمقاء ؟

— بثت من حوله العيون لترى كيف يفكر وكيف يصنع، فصح عندها أنه كافر بالحب وكافر بالمروءة فأصلته نار الصدود

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم رحل المسكين إلى مصر بدون أن يستأذن رئيسه نورى باشا السعيد

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم خلت حياة ليلى من حبيبها الغالى فلم تعد تعرف طعم الحياة وحالفها الضنى والنحول

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم علم الشاب المسكين بمرض محبوبته الغالية فلاذ بأمه الرءوم فمضت إلى الأستاذ خليل مطران تستفتيه ، فكان من رأيه

أن يُنتقَم من ليلى بطريقة دولية تضجّ لها المشارق والمغارب ، وصحّ عنده أن تغنى السيدة نادرة هذا البيت :

يقولون ليلى فى العراق مريضة فياليتنى كنت الطبيب المداويا

ولم يقف عند هذا الحد ، بل أشار بوضع هذا الصوت فى شريط « أنشودة الفؤاد »

— ثم ما ذا يا ظمياء ؟

— ثم تنكّر أهل العراق لذلك الشريط وقاوموه غيرةً على ليلى فلم يعرض فى بغداد غير مرات معدودات

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم لطف الله بليلى فجاء الدكتور زكي مبارك لمداواتها منتدباً من الحكومة المصرية

— وما الرأى ياظمياء إذا عُوفيتْ ليلى ومرض الطبيب ؟

— الأمر يومئذ لله

* * *

ليلى ، ليلاى

أنت تعلمين أننى تركت فى سبيلك وطنى وأهلى . أنت تعلمين أن صحتى اعتلتْ وأننى أعيش على منقوع الفواكه منذ أسابيع وأسابيع . أنت تعلمين ما أنا صائر إليه إن دام هذا الصدود . أنت تعلمين أنى ضحية الواجب والعقيدة والوجدان . فما هذا التجنى ياليلى وأنا ما خنت العروبة ولا كفرت بالحب ؟

أحبك ياليلى ، أحبك ، فاصنعى بقلبى ومصيرى ما شئت وشاء الهوى وشاء الدلال

أحبك ياليلى فى غضبك ورضاك . أحبك حباً ماسبقنى إليه سابق ، ولن يلحقنى فيه لاحق . أحبك ياليلى وأحب من أجلك جميع مافى الوجود حتى قيظ بغداد . أحبك ياليلى وأرى وجهك مسطور الملامح والتقاسيم فى كل ماتقع عليه عيناى . أحبك وأحب من أجلك نعيم الحياة وبؤس الحياة ؛ وما أحب الحياة لنفسي ياليلى فقد شبعت منها ورَويت ، وإنما أحب الحياة ليبقى لك فى الدنيا محب صادق يرى الضلال فى هواك أشرف من الهدى، ويرى الظلام فى هواك أكثر إشراقاً من بياض الصباح

أحبك ياليلى وأتمنى ألا تحبينى ؛ فما يرضينى أن تعانى فى الهوى بعض ما أعانى

أنا أكره لك يامعبودتى أن تذوقى ملوحة الدمع ، وأن تهيمى بعدُ بنجوم الليل ، وأن تقفى موقف الجمود أمام الأزهار والأشجار والأنهار فلا تدركين كيف يبتسم الوجود

* * *

— ظمياء !

— عيونى !

— ظمياء !

— عيونى ، دكتور زكي ، عيونى !

— خذى بزمامى إلى الجحيم

— وأين الجحيم يا مولاى ؟ حماك الله ونجاك !

— أين الجحيم ؟ أما تعرفين؟ خذى بزمامى إلى دار ليلى علّنى أعرف مصيري فى هوى تلك الظلوم

— فى هذا المساء ؟

— فى هذه اللحظة

— إنتظر حتى أراها وأرجع إليك، فان اصطدام العاشقين فى فورة الغضب قد يحملك على أن تمن عليها أو تجرها إلى أن تمن عليك ، والمن يصنع بالحب ما تصنع النار بالحلفاء

« للحديث شجون » زكى مبارك

مصطفى صادق الرافعى

بمناسبة مرور سنة على وفاته

للأستاذ فليكس فارس

بقية ما نشر فى العدد الماضى

لكل كاتب منهجه، ولكل مفكر تقديره . وما أذهب إليه فى تحديد الرافعى هو ما تيقنته فيه قبل أن تنشأ بيننا أية علاقة شخصية ، إذ رأيت فيه الأديب المطبوع المتمرد على كل مشايعة وتقليد . فهو مثال جديد للأدب العربى القديم يستلهم أجواء الشرق ويُلبس تفكيره حلة من لغة الجنان لا يسع كاتباً من عباقرة سائر الأمم أن ينسج على منوالها

الرافعى هو أحد أعلام العرب المعدودين ، أحد الأئمة السائرين فى الطليعة من فيالق الأدباء فى عصر النهضة الجديدة .

ولا يجوز لأى كاتب منصف أن يصوره للتاريخ متخلفاً خطوة واحدة عن رفاق جهاده . فمن الجناية على الحق أن نقيم فى وهمنا حلبة نستركض عليها عباقرتنا ونتسلى بالنظر إليهم كأنهم جياد السباق يتجهون إلى أمد واحد . فليس الأدب حلبة اختط المراهنون عليها طريقاً واحداً لتغلب فريق على فريق ؛ إن الادب إلا أجواء تتطاير فيها القرائح فراشات تستهويها أنوار وأنوار ... ولكل نور جذبته، ولكل نور جماله ، إذا هو اقتاد المنجذب إليه نحو الحق والخير . وما أدري أن بين كتابنا وشعرائنا أمواتاً وأحياء من يبز مصطفى فى إيمانه ووطنيته وقوميته وإشراق بيانه ومتانة أسلوبه ولطافة شعوره وعمق تفكيره

هذه قطعة (رؤيا فى السماء) إن وجدت لها مثيلا من حيث الفن بين ما كتب أشهر الرمزيين من أبناء الغرب ، فانك لن تجد ما يشبه روعة بيانها ولا إشراق إلهامها وقد تلألأت فى سطورها من الأحاديث الشريفة ، ومن حكم السلف الصالح ما يدفع بك وأنت تتلوها إلى السجود كأنك تصلى بأصوات القبور المتعالية من خفايا فطرتك وأعماق روحك

اسمع صرخة الإلهام فى روح الرافعى تخرج من فم ملاك يؤنب رجلا فضل العزوبة على الزواج ووقف فى البرزخ الفاصل بين العالمين متخذاً من تنسكه وتعبده زانى إلى الحق

قال الملاك : (جئتَ من الحياة بأشياء ليس فيها حياة ، فما صنعتَ للحياة نفسها إلا أن هربت فيها وانهزمت من ملاقاتها؛ ثم أنت تؤمل جائزة النصر على هزيمة.. عملت الفضيلة فى نفسك ونشأتك ، ولكنها عقمت فلم تعمل بك . لك ألف ألف ركعة ومثلها سجدات من النوافل ، والخير منها كلها أن تكون قد خرجتْ من صلبك أعضاء تركع وتسجد)

أسمعت كيف يعتز الرافعى عن إيمانه فيدعوك إلى الإيمان ؟ فاسمع الآن كيف يهيب بالشباب إلى إقامة الوطن المنشود !

(يا شباب العرب ، لم يكن العسير يعسر على أسلافكم الأولين كأن فى يدهم مفاتيح من المناصر يفتحون بها . أتريدون معرفة السر ؟ السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق فصاروا عملاً من أعمال الخالق . غلبوا على الدنيا لما غلبوا فى أنفسهم معنى الفقر ومعنى الخوف والمعنى الأرضى . وعلمهم الدين كيف يعيشون باللذات السماوية التى وضعت فى كل قلب عظمته وكبرياءه

القوة القوة يا شباب العرب ! القوة التى تقتل أول ما تقتل فكرة الترف والتخنث . اجعلوا رسالتكم إما أن يحيا الشرق عزيزاً وإما أن تموتوا)

أسمعت كيف يلهب الرافعى النفوس شوقاً إلى العظمة التى تكشف لك فى آن واحد عظمة الحياة الدنيا ومجد الحياة الخالدة ؟ فاسمع الآن كيف يصور لك الرافعى سعداً بأسطر وهو من يكاد ينوء التاريخ بإحصاء صفاته

« إن سعدا العظيم كان رجلا ما نظر إليه وطنى إلا بعين فيها دلائل أحلامها ، كأنما هو شخص فكرة لا شخص إنسان . فاذا أنت رأيته كان فى فكرك قبل أن يكون فى نظرك، فأنت تشهده بنظرين أحدهما الذى تبصر به والآخر ذاك الذى تؤمن به . رجل الشعب الذى يحس كل مصرى أنه يملك فيه ملكا من المجد. وقد بلغ فى بعض مواقفه مبلغ الشريعة فاستطاع أن يقول للناس: ضعوا هذا المعنى فى الحياة وانزعوا هذا المعنى من الحياة)

أسمعت الرافعى فى مجال العقيدة الروحية والوطنية ؟ فاسمعه الآن كيف يسبر غور معضلة الانتحار بقوله :

(وليس يخيب الانسان إلا خيبة عقل أو إرادة ؛ وإلا فالفقر

والحاجة والمرض والاختلال والذل والبؤس والعجز عن الشهوة وفساد التخيل، كل ذلك موجود في الناس يحمله أهله راضين به صابرين عليه، وهو الغبار النفسى لهذه الأرض على نفوس أهلها ويا عجبا ... إن العميان هم بالطبيعة أكثر الناس ضحكاً وابتساماً وعبثاً وسخرية، أفتريدون أن تخاطبكم الحياة بأفصح من ذلك..)

هذه عبارة من بحث طويل فى الانتحار قد لا تجد ما يضاهيه من أبحاث الغرب تحليلاً وتصويراً واستنتاجاً

هـذا هو الرافعى الفيلسوف، فاسمع الآن إلى قلب الرافعي يتدفق حناناً ورقة وهو يصف طفلاً ماتت أمه:

(وطغت عليـه الدموع، فتناول منديله ومسحها بيده الصغيرة، ولـكن روحه اليتيمة تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معانى يتمها. ونهض الصغير ولم ينطق بذات شفة، نهض يحمل رجولته التى بدأت منذ الساعة)

(انتهت، أيها الطفل المسكين، أيامك من الأم، هذه الأيام السعيدة التى كنت تعرف الغد فيها قبل أن يأتى معرفتك أمس الذى مضى إذ يأتى الغدومعك أمك. وبدأت، أيها الطفل المسكين أيامك من الزمن وسيأتى كل غد محجباً مرهوباً إذ يأتى لك وحدك، ويأتى وأنت وحدك)

وهذه عبارة من مقال (عروس تزف إلى قبرها)

(ودخلت أعودها فرأت كأنى آت من الدنيا، وتنسمت منى هواء الحياة كأنى حديقة لا شخص. ومن غير المريض المشفى على الموت يعيش بقلوب الناس لا بقلبه)

إلى أن قال:

(وباقتراب الحبيب المحتضر من المجهول يصبح من يحبه فى مجهول آخر فتختلط عليه الحياة بالموت، ويعود فى مثل حيرة المجنون حين يمسك بيده الظل المتحرك ليمنعه أن يذهب، وتمروه فى ساعة واحدة كآبة عمر كامل تهيىء له جلال الحس الذى يشهد به جلال الموت ...)

وهذا أيضاً مقطع من (لحوم البحر)

(الفتاة ترى فى الرجال العريانين أشباح أحلامها، وهذا معنى السقوط، والمرأة تسارقهم النظر تنويماً لرجلها الواحد، وهذا معنى المواخير ...

(أين تـكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين؟ يا لحوم البحر، سلخك من ثيابك جزار ...

(والبحر يعلم اللائى والذين يسبحون فيه كيف يغرقون فى البر لو درى هؤلاء وهؤلاء معرة اغتسالهم معاً فى البحر لاغتسلوا من البحر، فقطرة الماء التى نجستها الشهوات قد انسكبت فى دمائهم وذرة الرمل النجسة فى الشاطىء ستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم.

(يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ...)

هذه نماذج تلمح الرافعى من خلالها لمحاً، نضمنها هذا المقال لتشهد هى له بأنه الـكاتب المطبوع على سجية نفسه، والمفكر المبتكر للمعانى من حياة الشرق نفسها، لا مما صوّره عباقرة الغرب من حياتهم فى تأليفهم. وإذا أنت أردت أن تعرف الرافعى وتحيط بآفاق تفكيره وشعوره فإنك لتجد فيما كتب ما يستطير لبك ويشغل ذهنك حولاً كاملا. ولـكن يكفيك لتخشع أمام الرافعى وتعلم فى أى مقام يضعه بيانه من الأدب العالمى، أن تقلب مصنفاته ساعة فترى كأن أناملك تفتح لك من كامنات نفسك ما كنت تحس به غماماً فإذا هو الفلك الخفى يدور أمامك بكواكبه ويبهرك بأنواره ...

إن كتابنا البارزين ممن أجادوا لغات الغرب ووعوا تواريخها لا يسعهم، إذا نحن استثنينا النذر اليسير من المجددين بينهم، أن يلبسوا تفكيرهم وشعورهم بياناً عربياً دون أن تظفر من هـذا البيان صور وانطباعات تنقل إليك رواشم أصلها. فان فى أدبنا اليوم ارتشاحات فرنسية وانكليزية وألمانية وروسية الخ ... ولـكم من قطعة أدبية لولا تقتك بعبقرية كاتبها لحسبتها مترجمة عن اللغة الأجنبية التى يجيدها لا مستلهمة من أجواء بلاده وأدب قومه. ولـكم من رواية يكفيك أن تبدل الأسماء العربية فيهـا بأسماء إفرنجية ليصح أن يدعى تأليفها إلى كاتب أجنبى يصوّد أخلاق الغرب ونظمه وعاداته

إذا كان التفكير العلمى المحض مشاعاً بين الأمم ولا قبل لك بالتمييز بين اكتشاف وفق إليه جرمانى، واكتشاف آخر يظفر به لاتينى أو عربى، فليس الحال كذلك فى الأدب، لأنه خطرات أفكار، وسانحات شعور، تخرج من صميم الفطرة وتتخذ حتما الصور والألوان الخاصة بلغة كل شعب وتقاليده وأخلاقه، فليس هنالك أدب عالى كما أنه ليس هنالك فن عالى وموسيقى عالية بما تدل عليه هذه الكلمة من الاطلاق. غير أن هنالك آداباً وفنوناً وموسيقى تبلغ الذروة من الإبداع، فإذا نقلت إلى أمة غريبة عن منشئها احتفظت بالقدر الكافى من الجمال لتؤثر فى نفوس الأمة الغريبة

إن بين آثار كتابنا فى هذا الزمان قطعاً فنية تتدفق روعة وجمالاً، ولكنك لاتجد إلا اليسير منها مايمكنك أن تنقله إلى لغة أجنبية دون أن يقول لك أهلها إنهم قرءوا مثلها فى مؤلفات كتابهم ...

لكأن العناية قد أرادت بعث الأدب العربى صافياً ليجمع ما انفرط من شمل هذه الأمم التى تناهبت الأذواق العربية بيانها، فأرسلت من اختارت فى مطلع نهضتنا يبعثون لغة الجنان بعد طول هجوعها، يبعثونها ملهمة من الوحى ومما أبدعه استغراق المتقدمين حين كان شعورهم تسبيحاً وتفكيرهم صلاة وسجوداً. يبعثونها لا يكدر نهرها المتدفق بنبوع دخيل، ولا تشوه أساليبها عجمة، ولايحتل إعجازها بإيجازها وإحكامها، ما لا قبل لها به من الأساليب الغريبة. لكأن العنايه أرادت أن تفتح آذان الجيل الناشئ إلى أصوات الأجيال المتوارية، فاختارت لها رسلها وفى طليعتهم الرافعى، أنشأته فى بيئة خاصة، وقضت له بألا يجول إلا فى دوائر الأدب العربى، وبلته بالصمم كيلا يسمع صوتاً إلا صوت نفسه تتجاوب أصداء العروبة فيها من جميع حقبها وأطوارها، ليصرخ صرخته المدوية كأنها هتفة بوق النشور فى هذه الشعوب التى أضاعت استقلال تفكيرها، فتناهب بيانها الغريب من كل بيان حتى فقدت ثقتها بنفسها فقضت على ميزاتها وعزة حياتها

فليكس فارس

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ١١ —

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم

والحق أن مسألة العبيد تزداد تعقيداً كلما تقدمت الأيام؛ ولكن ابراهام لم يكن الرجل الذى يضل السبيل إذا تعقدت من حوله مسالكها. رأى بنافذ بصيرته أن السماح بانتشار العبيد وراء الحد الفاصل معناه سيادة أهل الجنوب وبقاء نظام العبيد إلى أمد بعيد؛ ورأى كذلك أن الدعوة إلى التحرير تؤدى لا محالة إذا اشتدت إلى انسحاب أهل الجنوب من الاتحاد فينهار البناء، وتعصف بالوحدة القومية الأنواء. إذا فلينتظر وليحذر وليترقب ما تأتى به الأيام ...

انصرف دوجلاس ولكنه قبل أن ينصرف أبى إلا أن يأتى ما يدل على طبعه، فلقد نقض العهد وأتى بعديومين خطاباً جديداً حاول فيه أن يدافع عن آرائه، ولم يستطع لنكولن إلا أن يظل عند كلمته، فأبى أن يتكلم وقد جعل بينه وبين خصمه ميثاقاً أن يقطعا حبل الجدل

ولقد كان لانتصار لنكولن على دوجلاس العظيم ذلك السياسى الملحوظ المكانة أثر بعيد فى حياة ابن الغابة قاطع الأخشاب بالأمس وعامل البريد، وفتى الحانوت البائس الفقير؛ ذلك أنه ازداد ثقة بنفسه فأخذ يشتد طموحه ويمتد بصره؛ وازدادت كذلك ثقة الناس فيه واشتد إعجابهم به واطمئنانهم إلى مقدرته وجدارته

ولذلك نراه يخطو خطوة جديدة فى مضمار السياسة فيطمع أن ينتخب عضواً لمجلس الشيوخ ويأمل بذلك أن يعود إلى وشنجطون. وهل كان يرى نفسه دون دوجلاس مقدرة ومكانة

وهو قاهره على أعين الناس فى أمر له عند الناس خطره ؟ ولقد انتخب أول الأمر عضواً فى مجلس المقاطعة ولكنه ما لبث أن استقال منه وأخذ يدعو لنفسه ليختار عضواً فى مجلس الشيوخ للولايات ... وكان منافسه فى هذا شيلدز ، ذلك الرجل الذي تحداه من قبل إلى مبارزة بالسيف لما كتبه لنكولن عنه فى إحدى الصحف وعدّه هو إهانة له

وكان الذين ينتخبون عضو مجلس الشيوخ هم أعضاء مجلس المقاطعة ، وكان المجلس يومئذ يجمع أنماطاً من الرجال فرقت بينهم الأهواء وباعدت الآراء ، ففيهم بقايا حزب الهوجز الذين يمقتون التطرف ، وفيهم الديمقراطيون أنصار مبدأ العبيد ، وفيهم المعارضون لقرار نبراسكا ، وفيهم غير هؤلاء وهؤلاء ممن تتذبذب سياستهم حسب ما يقوم فى رؤوسهم من الآراء فى مسألة العبيد

وكاد يظفر ابراهام بما يتوق إليه وبما باتت زوجته تمنى النفس به لولا أن دعا الديمقراطيون فى اللحظة الأخيرة إلى رجل غير لنكولن ومنافسه ؛ وعندئذ أشار لنكولن على نصرائه أن يمنحوا هذا الرجل الجديد أصواتهم ليفوت الأمر على منافسه الأول إذ كان هذا من أصحاب دوجلاس بينما الآخر ممن يعارضون قرار نبراسكا ؛ وهكذا يذوق لنكولن مرارة الفشل من جديد !

ولكن الفشل هذه المرة لم يبلغ من نفسه ما كان يبلغه في الأيام السالفة ، فهو اليوم مطمئن إلى نصيبه من رضاء الناس وإلى حظه من الصيت والنفوذ . لقد قابل الأمر بدون اكتراث لو لا ما أظهرته زوجته من غضب وحنق ، على أنها ما لبثت أن رضيت وسكنت ثورتها ، ذلك أنها كانت تكاد ترى رأى العين ما ينتظر زوجها من مستقبل عظيم ...

ولم يصرفه الفشل عن السياسة كما كان عسيًّا أن يفعل فى ظروف غير هذه ؛ فلقد عرف أن فشله يومئذ إنما يرجع إلى أسباب لا يستخذي لها ، ومن أهم تلك الأسباب ما فعله دعاة التحرير ، فلقد حشروا اسم لنكولن على غير علم منه فى ممضديهم وراحوا يباهون به الأحزاب ؛ ولقد أدى هذا إلى انزعاج كثير من الديمقراطيين إذ حسبوه قد مال إلى الطفرة فى مشكلة العبيد، كذلك أنكر الهوجز عليه أن ينحرف عن سياسته القائمة على الحذر ، ولقد كانوا يحبون منه اكتفاءه بمقاومة انتشار العبيد ، أما أن يميل الى التحرير فجأة فيعمل مع المتطرفين على القضاء على الاتحاد فذلك ما لا يقبلونه منه ؛ وهكذا أخذ على الرجل ما لم يجنه فأصابه من الخذلان ما أصابه ...

لا جرم أنه اليوم رجل سياسة أكثر منه رجل محاماة ، ولا جرم أن معضلة العبيد قد صار لها المكان الأول من همه فهو لن يرجع حتى ينفس عن صدره بما يفعل فى هذه المعضلة التى صارت المحور الذى تدور عليه سياسة الاتحاد ، والعقدة التى يتوقف على حلها مصير البلاد ؛ وإنا لنرى فيه الرجل الذي يتطلبه الموقف شأنه فى ذلك كغيره من عظماء الرجال الذين يظهرون فى فترات الزمن ليتم بهم للتاريخ وسيلة تحركه، إذ يصبح لديه الرجل العظيم والفكرة العظيمة ، فما أن يتمثل العظيم الفكرة ويمزجها بنفسه حتى يقدم لا يلويه شئ عن الغاية فيصل أو يهلك دونها ويذر البقية لمن يليه ...

على أنه كان فى سنه يومئذ قد وصل من المحاماة إلى أوج الشهرة، فكان وهو فى السابعة والأربعين الرجل الذى يظفر فى مهنته باطباق الناس على توقيره وإجماعهم على التسليم له بالنبوغ وطول الباع وسعة الخبرة، هـذا إلى ما انفرد به من سجايا جملته بينهم وكأنه أكثر من أن يكون منهم ! ...

وتوافت له فيما توافى من أسباب العظمة تلك الخصلة التى لا تقوم عظمة بدونها ؛ والتى تجعل العظيم يظهر بين الناس وفيه شئ يحملهم على إكباره طائعين أو كارهين ؛ شئ يحسونه وإن كان أكثرهم يجهلونه، شئ مبعثه ذلك السر العجيب الذى نعبر عنه بقولنا روح الرجل العظيم والذى يسميه بعض الناس الحماسة ويسميه بعضهم الإخلاص ويسميه آخرون الإيمان والذى هو فى الحق مزيج من هذا كله لاندري كيف يتم، مزيج ينبض به قلب العظيم ويجرى فى نفسه جريان الدم فى عروقه ....ومن الناس من وهبوا الذكاء الحاد والمهارة الفائقة ولكنهم حرموا تلك الخصلة فما استطاعوا فى أعمالهم أن يرقوا بأنفسهم إلى مستوى أعلى من مستوى غيرهم ؛ ومنهم من لم يعظم ذكاؤهم ولكن يمس قلوبهم قبس من ذلك السر العجيب فاذا هم غير النـاس ، ثم إذا هم فوق

الناس ... ومن هؤلاء النفر ذلك الرجل الذى درج فى الغابة والذى بنى نفسه فسار فى الحياة على نهج من قلبه وعلى دليل من طبعه ، ذلك الرجل الذى لا يذكر لأحد عليه يداً والذى تنكرت له الأيام وعركته المحن فبقى كما يبقى الجوهر الحر لا تترك فيه النار من أثر إلا البرهان القاطع على أنه جوهر حر لا مظهر ...

وشاء الأقدار أن تقوم عظمة أمريكا على كاهل رجلين من أبنائها درجا فى مدرج الشعب وبرزا من صفوف العامة وهما چورج وشنجطون وابراهام لنكولن ؛ أما أولهما فيرفع القواعد ويقيم الصرح ، وأما الثانى فيمسكه أن ينهار ؛ وتكون بذلك عظمة أمريكا عظمة ذات أصالة إذ لم تنشأ عن تقليد أو تستند إلى مبهرج من سلطان زائف ، ويكون صرحها كالجبل الذى هو من أوتاد الأرض ، لا كالبناء الذى يقوم على أسس يجوز عليها أن تجتث من فوق الأرض ...

ومضت الأيام تسير بابن الغابة سيراً معجلا وثيقاً ليؤدى رسالته ، ولعله أشرف من حاضره على ما يعده له الغد القريب . أجل لعله أخذ يدرك أن مسألة العبيد مفضية حتما إلى خطوة واسعة يخطوها غداً فيحس بعدها أنه ترك فى تاريخ بلاده ما تذكره به الأجيال . اقرأ كتابه إلى صديقه سبيد تقع فيه على رأيه وتتبين كثيراً مما كان يجول فى نفسه ، قال : «فى عام ١٨٤١ قمنا معاً برحلة مملة على صفحة ماء منخفض فى قارب بخارى من لوسفيل إلى سان لويس ، ولعلك تذكر كما أذكر أنه كان على ظهر القارب عشرة أو اثنا عشر عبداً مقرنين فى الحديد · ولقد كان هذا المنظر مبعث عذاب مستمر لى ، وإنى أبصر شيئاً مثله كلما لمست نهر الأهايو أو أى جهة من جهات العبيد . وخلاف الجيل منك يا صديقى أن ترى فى أنى لا أهتم بذلك الشىء الذى ينطوى على قوة تكربنى والذى لا يفتأ يسبب لى الكرب . لقد كنت حرياً أن تتبين إلى أى حد يقتل سواد الناس فى الشمال مشاعرهم حتى يستطيعوا أن يحتفظوا بولائهم للدستور وللوحدة »

فى هذه الكلمة القصيرة ، ينجلى لنا رأيه فى مسألة العبيد فهى مبعث ألم فى نفسه ، ألم استقر فيها منذ القدم فما يبرحها ، وهو على الرغم من هذا الألم يحرص على الوحدة وعلى الدستور وفى ذلك تلخيص دقيق لمناهجه الذى سيأخذ به نفسه حين يهم أن يهوى بالضربة الحاسمة فهو ضنين بالوحدة أن تتزلزل كما هو حريص أن يمحو كل أثر للعبودية فى البلاد ...

لن يضيره اليوم ألا يصل إلى مقعد فى مجلس الشيوخ بل ربما كان الشر فى أن يظفر بهذا المقعد ، فلقد كانت له بعد فشله جولات لها خطرها فى حياته ، جولات تنتهى به حتما إلى رياسة الجمهورية فلم يبق ثمة على الدرب إلا مرحلة ...

وكثيراً ما يبتئس المرء إذا فاتته فرصة كأنما أغلقت بفواتها مسالك الفوز من دونه ، وهو لا يدرى أنه ربما كان الخير فى فواتها ؛ والحياة مليئة بالأمثال حافلة بالعبر ؛ والعظماء وحدهم هم الذين لا يلويهم فوات الفرص وإن ابتأست لفواتها أحياناً نفوسهم ، بل إنهم ليحمون على الشدائد ويستمرون على الكفاح ويستشعرون اللذة فى النصر ، كما يستشعرونها فى ركوب الصعاب إلى ذلك النصر ، ولن ينقص منها ما قد يصيبهم من خذلان

ولقد كان لنكولن من هؤلاء البواسل الأفذاذ الذين لا يحفلون الصعاب ، والذين لا يحول بينهم وبين وجهتهم خذلان مهما عظم ؛ بقى فى سبرنجفيلد بعد فشله ليكون فى المدينة زعيم الحزب الجديد الذى تستقبل البلاد مولده ؛ وهل كان غيره تجتمع عليه القلوب والأهواء ؟

كانت البلاد تستقبل حزباً جديداً هو الحزب الجمهورى ؛ ولقد تألف هذا الحزب من عدة عناصر يجمع بينها حرصها على مقاومة انتشار العبيد حسبما جاء فى اتفاقية سورى ، فكان ينتظم عدداً من الموجز وعدداً من الديمقراطيين وجماعة من دعاة التحرير ؛ وكان قيام هذا الحزب فى تاريخ البلاد فاتحة فصل جديد كما كان فى تاريخ لنكولن مبدأ عهد جديد

(يتبع) **الخفيف**

الرافعي

في ذكراه الأولى

للأستاذ محمد سعيد العريان

« نص الكلمة التي أذاعها الأستاذ محمد سعيد العريان من محطة الاذاعة الفلسطينية بالقدس في مساء الاثنين ٩ مايو سنة ١٩٣٨ لمناسبة تمام سنة على وفاة فقيد الأدب العربي المرحوم مصطفى صادق الرافعي »

سيداتي ، آنساتي ، سادتي

سلام الله عليكم أهل هذه الأرض الطيبة ... ومعذرة ، وشكراً ...

لكأني بكم ترهفون السمع لتسمعوا ما يمكن أن أحدثكم به عن الرافعي في ذكراه الأولى ، وما أنا بمستطيع في هذه الفترة القصيرة من الزمن أن أبلغ ما أريد وتريدون من الحديث عن الرافعي

لم يكن الرافعي أديباً كبعض من نقرأ لهم من أدباء الصحافة ولكنه كان علماً من أعلام الأدب ، وإماماً من أئمة الدين ، وبرهاناً من براهين العربية تجالد به حين يعوزها البرهان

ولقد يكون من فضول القول أن أتحدث إليكم عن أدب الرافعي ، وآثاره الأدبية بين أيديكم وتحت أعينكم ؛ وإنكم لتعرفون أدبه وتعرفونه بأدبه . ولكني قد صحبت الرافعي عمراً من عمري ، فعرفته أكثر مما يعرفه الناس ؛ فليكن حديثي الليلة عن الرافعي الذي عرفته ...

لقد سمعت إسم الرافعي لأول مرة منذ بضع عشرة سنة ، وكنت يومئذ غلاماً حدثاً ، لا أكاد أفهم ما يأتي إليّ ، سمعت به وأنا طالب في الصفوف الأولى ، فسمعت اسماً له جَرْس ورنين ، وله نشيد تتجاوب أصداؤه في جوانب نفسي ، فحُبِّب إليّ من ذلك اليوم أن ألقاه ...

وقال لي رفيق : « وَيْ ! أتعرف من ذلك الذي أخذت عليه الطريق عامداً ؟ » قلت : « صه ، لا يسمعك فيسوءني جوابه ! » قال : « لا عليك ! إن في أذنيه وقراً فلا يسمع ! »

وتبدلت في نفسي صورة بصورة ، وامحى ألم ليحل في نفسي من بعده ألم آخر ... وعرفت وقتئذ لماذا لم يرفع عينيه إليّ ولم يردّ التحية ...

ولقيته بعد ذلك مرات كثيرة في الطريق ، وفي القهوة ، وفي السيما ؛ وقرأت له مرات أكثر في الكتب ، وفي الصحف وفي المجلات ، وعرفته ولم أزل كل يوم أزداد عرفاناً به ، ولكني لم أعرفه العرفان الحق إلا بعد هذه الحادثة بعشر سنين ... حين جلست إليه لأول مرة في دار كتبه من داره ، عرفته على حقيقته وفطرة نفسه ، فكأنني لم أعرفه قبل ذلك اليوم ... وما فارقته من بعد حتى فرق بيننا الموت . يرحمه الله !

إنني لأحس حين أذكره الساعة كأنني لست وحدي ، وكأن روحاً حبيبة تطيف بي وترف حولي بجناحين من نور ، وكأن صوتاً ندياً رفيع النبرات يتحدث إليّ من وراء الغيب حديثاً أعرف جرسه ونغمته ؛ وكأن عينين تطلان عليّ من عالم غير منظور لتأمراني أمراً وتلهماني الفكر والبيان ؛ ولكنني لا أرى ؛ ولكنني لا أسمع ؛ ولكني هنا وحدي ، تتغشاني الذكرى فتخيِّل إليّ ما ليس في دنياي . هيهات هيهات لوهم الأماني !

لقد كان هنا صوت يتجاوب صداه بين أقطار العربية . لقد كان هنا إنسان يملأ فراغاً من الزمان . لقد كان هنا قلم يصر صريراً فيه رنات المثاني ، وفيه أنات الوجع ، وفيه همسات الأماني ، وفيه صرخات الفزع ؛ فيه نشيج البكاء ، وفيه موسيقى الفرح .. خفت الصوت ، ومات الانسان ، وتحطم القلم ؛ ولكن قلب الشاعر مازال حياً ينبض ، لأن قلب الشاعر أقوى من الفناء

في كل يوم يموت أديب من أدباء العربية وينشأ أديب ؛ فأين ، أين الأديب الذي يقوم لما كان يقوم له الرافعي ؟ أين ... أين الأديب الذي ينتدب بعد الرافعي ليقف لكل من يحاول التقحم على قدس القرآن ؟ أين ... أين الأديب الذي يقف قلمه وبيانه للدفاع عن العرب والعربية والاسلام ؟ أين .. أين الكاتب الألمعي الذي يصور طهر الحب ، وسمو الانسانية ، وآلام البشرية وأفراح الحياة ، فتنبثق نوراً في كل قلب ، وتتفجر شعوراً في كل وجدان ؟ أين خليفة الرافعي الذي يقوم على سداد هذا الثغر المعطل ؟ أين حامل اللواء ، وأين صاحب القلم ؟

لقد كان الرافعي عصراً بتمامه من عصور الأدب ، وجيلاً بناسه في تاريخ العرب ، وفصلاً بعنوانه في مجد الاسلام

***

كانت الدنيا تموج من حوله بأناسيها وحوادثها ، وتضطرب حواليه في أمانيها ونوازيها ، وتصطخب في محيطه بشهواتها ونوازعها ؛ وهو وحده يعيش من هذا المحيط المضطرب المائج المصطخب في دنيا وحده لا يسمع إلا همسات روحه ، ولا يحس إلا خلجات قلبه ، ولا ينظر إلا الهدف الذي يسعى إليه . وهيأه القدر بوسائله العجيبة لهذه الوحدة العقلية منذ صباه حين سلبه السمع ، فعاش حياته بعيداً عن دنيا الناس ، ومضى في طريقه كما يمضي عابر السبيل : لا يُلقي باله إلى شيء مما حواليه أو يبلغ إلى غايته ...

***

لم يكن الرافعي ليعرف شيئاً في سياسة الحكومات العربية المتعاقبة ، ولكنّ له هدفاً عاش يسعى جاهداً لتحقيقه : هو أن يبعث الحمية الإسلامية في نفس كل مسلم ، ويوقظ النخوة العربية في قلب كل عربي ؛ فكان بذلك رسول العروبة والاسلام إلى كل مسلم وكل عربي ؛ فلا جرم كان بذلك أحب كتاب العربية إلى كل مسلم وكل عربي

حياته الأدبية كلها تدور حول هذا المحور ، ومنشآته الأدبية كلها يسعى بها إلى هذا الهدف ، ومعاركه الطاحنة كلها تنشب في هذا المعترك ؛ وما عادى عدواً قط من أدباء العربية إلا للدين أو اللغة أو القرآن ؛ وما اتخذ صديقاً من رجال الأدب أو السياسة إلا للدين أو اللغة أو القرآن

وليس من عجب أن تكون فلسطين هي أسبق بلاد العربية إلى تجديد ذكرى الرافعي ؛ فقد كانت فلسطين هي أحب بلاد العربية إلى الرافعي ؛ وما أحسبه كتب شيئاً يتصل بشأن خاص من الشئون القائمة في بلد من بلاد العربية ، وإن له في فلسطين لمقالات يذكرها كل عربي في فلسطين !

لقد حاول كثير من مؤرخي الأدب أن يتحدثوا عن الرافعي في حياته ؛ فقالوا شاعر . وقالوا كاتب . وقالوا أديب . وقالوا عالم . وقالوا مؤرخ . ولكنهم لم يقولوا الكلمة التي كان ينبغي أن تقال :

لقد كان شاعراً ، وكاتباً ، وأديباً ، وعالماً ، ومؤرخاً ؛ ولكنه بكل أولئك ، وبغير أولئك ، كان شيئاً غير الشاعر والكاتب والأديب ، وغير العالم والمؤرخ ؛ كان هبة الله إلى الأمة العربية المسلمة في هذا الزمان ، لينبهها إلى حقائق وجودها ، وليردها إلى مقوماتها ، وليشخص لها شخصيتها التي تعيش باسمها ولا تعيش فيها ، والتي تعتز بها ولا تعمل لها

وكان يشعر أنه وحده في الميدان والجميع إلبٌ عليه ، فعاش حياته كلها يصارع ويكافح ، ويقاوم ويناضل ، حتى خر صريعاً وفي يده الراية ؛ لم يتركها حتى انتزعها الموت من يده !

كثر ما قال عنه أعداؤه وغير أعدائه في حياته : إنه حديد اللسان . إنه لدود الخصام . إنه لا يرعى اعتباراً مما تقوم به الصلات بين أهل الأدب ، حين ينزل إلى معترك من معارك النقد ... صدقوا ، ولكن ... أرأيت معرة على البدوي الثائر لعرضه أن يسفك الدم ؟ إنه هو هو ؛ فمن ذلك كانت شدته وصرامته ولدده في الخصام : في سبيل القرآن ، ومن أجل العروبة ، ولكرامة الإسلام . كان ذلك عرضه الذي يحرص عليه أن ينتهك ؛ فمن ثم كانت خصوماته الأدبية كلها فيها معنى الدم !

الدين ، واللغة ، والقرآن ، أو العروبة والإسلام : ذلك كان مذهبه في الأدب ، وله كان جهاده ؛ حتى في الحب — وللرافعي حب مشهور — وحتى فيما أنشأ من رسائل الحب ، لم يكن الرافعي يعتبر إلا مذهبه والهدف الذي يسعى إليه : للدين ، وللغة ، وللقرآن ...

من شاء فليقرأ كتبه الثلاثة في فلسفة الجمال والحب ، ليرى فيها كيف تسمو روح العاشق على شهوات البشرية حتى تتصل بخالقها الأعلى ؛ ثم ليرى العربية أسلوباً جديداً ، فيه عمق الفن ، ودقة التعبير ، ووضوح الأداء ، حتى في الترجمة عن أعمق ما تجيش به خفايا النفس الإنسانية

***

ولأدب الرافعي ميزة ليست لكثير من أدباء الجيل ؛ فهو أدب عليه طابع الخلود وتلك آداب إلى زوال . هذا أدبه بين أيدينا وتحت أعيننا ، ما تزال تدفعنا إليه دوافع من أنفسنا في فترات متقاربة أو متباعدة ، لنعيد قراءته ونتملى ما فيه من جمال

الى الشباب

بين جوته وإيكرمان

للأديب نصرى عطا الله سوس

جينا — الثلاثاء ١٨ سبتمبر سنة ١٨٢٣

فى صباح الأمس وقبل أن يعود جوته إلى (فيمار) حظيت مرة أخرى بسعادة الحديث معه؛ وماقاله لى هذه المرة لا يُثمن بالنسبة لى؛ ويجب على جميع شعراء الشباب الألمان أن يلموا به بداءبسؤالى عما إذا كنت قد كتبت شعرا هذا الصيف، فقلت كتبت بعض القصائد ولكن كان ينقصني على العموم المؤاتاه الضرورية، فقال جوته: حذار من محاولة كتابة موضوع كبير. إن هذا هو ما يضر بأكبر العقول عندنا حتى أولئك الذين يمتازون بأذهان حادة ومجهودات جدية؛ ولقد عانيت شخصياً هذه العلة. وإنى لأعرف كم من أضرار أوقعت بى. وأى شيء لم أتركه يسقط فى البئر. ولو كتبت كل ما وددت أن أكتب ما كفانى مائة مجلد. يجب أن ينال الحاضر حقوقه. فالأفكار والاحساسات التى تجول فى نفس الشاعر يوماً بعد يوم يجب عليه أن يعبر عنها — ولكن إذا شغلت رأسك بموضوع كبير فلن تعيش أي فكرة أخرى بجواره. كل الأفكار ترفض وتصد، حتى لذة الحياة نفسها تفقد وقتئذ. وأى مجهود عقلى تبذل كي تنظم وتلم شعث موضوع كبير! وأى قوة وأية طمأنينة تحتاج حتى يتسنى لك التعبير عنه فى سلاسة لائقة! وإذا خانك التوفيق فى أى جزء منه فكل مجهودك ضائع. وإذا عالجت موضوعاً كبيراً ولم تكن على معرفة تامة بكل تفاصيله فسيكون إنتاجك ضعيفاً وتستهدف للملام. فبدلا من المكافأة والسيادة جزاء على ما بذل من مجهود وتضحية لا يحظى الشاعر إلا بالانزعاج وشلل قواه العقلية. وهاك « أرنست هاجن » ذهن رائع ... هل قرأت كتابه « الفرد وليسنا » هناك نبذ بلغت الغاية من السمو، نبذ نخمة ولكن الكتاب لا يرضى أحداً. وأى مجهود وقوة أنفقها الكاتب! لقد أنهك نفسه! إنه يكتب مأساة الآن » وهنا ابتسم جوته وسكت برهة فقلت: « إذا لم تخن الذاكرة، فأنت قد نصحت هاجن بمعالجة الموضوعات القصيرة » فقال جوته: « حقاً! لقد فعلت، ولكن هل يتبع الناس نصائحنا نحن الشيوخ؟ كل يظن أنه أدرى بنفسه من الآخرين. وهكذا يفشل البعض فشلا نهائياً بينما يشرد البعض الآخر فى مهامه الزلل لمدة طويلة — لقد كان الماضى زمن المثار... ماضينا نحن الشيوخ. وما فائدة أبحاثنا وأغلاطنا إذا سار الشباب فى الطريق نفسه من أوله مرة ثانية؟ بهذه الطريقة لا يمكن أن نتقدم أبداً. لقد كابدنا أغلاطنا لأننا لم نجد طريقاً واضح المعالم نسير فيه؛ ولكن ذلك الذى يأتى أخيراً ليس فى حاجة لأن يبحث ويدل. بل يجب أن يتبع تعليمات الشيوخ كي يسير فى الطريق السوى من المبدأ. ولا يكفى مطلقاً أن نخطو خطوات قد تؤدى إلى غاية يوماً ما، بل يجب أن نجعل كل خطوة غاية فى حد ذاتها »

« تأمل هذه الكلمات وتبصر كيف تعمل بها. إنى لست

وصدق وقوة. وذلك أدب الأدباء، ما يكاد القارئ ينتهى منه إلى ما يريد حتى ينساه فلا يعود إليه ولا يذكره، على ما فيه من لذة ومتاع!

لم يكن الرافعى يكتب تلك الكتابة الصحافية السوقية التى تلتمس للهو وإزجاء الفراغ؛ ولكنه كان يكتب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة، وينشىء أدباً يسمو بضمير الأمة، ويشرع طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد، وسعادة الأبدية، ومجد التاريخ

الرافعي! يرحمه الله! لقد عاش فى خدمة العربية سبعاً وثلاثين سنة من عمره القصير، وصل بها حاضرها الماثل بماضيها البعيد؛ فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون، ولكنها على الحقيقة شطر من عمر الزمان، وباب من الأدب، وفصل فى تاريخ الاسلام

لقد عاش غريباً ومات غريباً؛ فكأنما كان رجلا من التاريخ بُعث فى غير زمانه ليكون تاريخاً حياً ينطق بالعبرة ويجمع تجاريب الأجيال، يذكّر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد؛ ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلّغ رسالته ... لقد خفت الصوت، ولكنه خلّف صداه فى أذن كل عربى، وفى قلب كل مسلم، يدعوه إلى الجهاد لمجد العرب، ولعز الإسلام.

« القدس » محمد سعيد العريان

قلقاً عليك ، ولكن نصائحى ستساعدك على إنهاء مرحلة لا تلائم مركزك الحالى . فإذا ماعالجت الموضوعات الصغيرة ، وإذا ما كتبت ما يعرضه عليك « الحاضر » يوماً بعد يوم فستنتج جيداً . وكل يوم سيجلب لك سعادة جديدة . إبعث بما تكتبه إلى المجلات ولكن لا ترضَ أبداً بكتابة ما يفرضه عليك الآخرون . إتبع وحى نفسك دائماً »

« إن فى الدنيا من العظمة والفن والحياة والتنوع بحيث لايمكنك أن تفتقد بواعث الشعر ؛ ولكن الشعر يجب أن يكون له بواعث ... أعنى أن الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع والمادة . إن الحادثة المعينة تصبح حادثة عالمية وشعرية إذا ما تناولها شاعر . كل قصائدى لها بواعث ، وقدعت إليها الحياة الحقيقية ، ولها فى ذلك أسس ثابتة . أنا لا أعير أى اهتمام للشعر الذى ينتزع من الهواء »

« إن أحداً لن يقول إن الحقيقة تنقصها روح الشعر ، وهنا يثبت الشاعر مقدرته بتمكنه من فن تناول الموضوع العادى من وجهة نظر خاصة بحيث يصبح مهمًّا . الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع إلى الموضوعات التى يود التعبير عنها . النواة ووظيفة الشاعر هى أن يخلق من هذه المواد وحدة جميلة حية . هل تعرف « فرنستين » ؟ إنه يدعى شاعر الطبيعة . لقد كتب أرق ما يمكن من القصيد عن زراعة حشيشة الدينار . لقد اقترحت عليه أن يؤلف أغانى على ألسنة أرباب المهن المختلفة ، خصوصاً النساج . وإنى لواثق من أنه سيجيد ، لأنه عاش بين هؤلاء منذ صباه . ولذا كان سيد مادته . تلك هى ميزة الموضوعات الصغيرة . كل ما عليك أن تختار ما تعرفه جيداً . ولكن هذا لا يتأتى فى الموضوعات الصغيرة ، فى هذه الحالة لا يمكنك أن تتفادى أى جزء . وكل ما يتعلق بتوحيد مادة الموضوع وما يدخل ضمن عناصره يجب أن يصور بدقة ... وفى زمن الصبا ينظر الشباب إلى الأشياء من ناحية واحدة ؛ والموضوع الكبير يتطلب إمكان النظر من نواحى عدة ... ومن هنا الفشل ! »

وأخبرت جوته أنى كنت أفكر فى كتابة قصيدة طويلة عن الفصول أضمنها الكلام عن أعمال وملاهى الطبقات كلها فقال : « هذا فى قلب الموضوع . قد توفق فى بعض الأجزاء ، ولكن قد تخفق فى البعض الآخر عند ما تكتب عما لم تبحثه أو تخبره جيداً ، وقد تكتب عن (السماك) جيدا ، ولكن قد يخونك الحظ فى الكتابة عن (الصياد) . وإذا أخفقت فى أى جزء فالنتيجة هى الفشل مهما أجدت فى بعض الأجزاء . وبذا تكون قد أنتجت إنتاجاً مبتوراً . اكتب كل جزء على حدة واقتصر على ما تعرفه . ومن المؤكد أنك ستنتج ما يرضى . وأحذرك خاصة من « الابتكارات » لأنها قد ترمى إلى التعبير عن فكرة خاصة عن العالم ، والشباب قلما يكون من النضج بحيث يوفق في هذا . فضلاً عن أن الشخصيات والآراء التى يضمنها ابتكاراته تنفصل عن عقل الشاعر وتحرمه من «الامتلاء» اللازم لكتاباته المستقبلة . وأخيراً ، كم من الزمن يفقدنى الابتكار والترتيب والتركيب . هذا ما لايمدحنا أحد عليه ، حتى ولو كتبتا بنجاح . ولكن فى حالة ما يعطى الشاعر المادة تكون الأمور أحسن وأسهل(١) . فإذا ما مُد الشاعر بالشخصيات والحقائق يكون عمله أن ينفخ الروح فيها فقط ، فيحتفظ بامتلائه ولا يفقد كثيراً من الزمن والمجهود . إنى أنصح دائماً باختيار الموضوعات التى طرقت قبلاً . فكم من « أفيجينيا » كتبت ولكن كلهن مختلفات . كل شاعر يتناول القصة حسب طريقته . عليك أن تترك التفكير فى الموضوعات الكبيرة الآن . لقد آن لك أن تعيش ذلك الطور البهيج من الحياة ، ولأجل أن تصل إلى هذا فعالج الموضوعات الصغيرة ... »

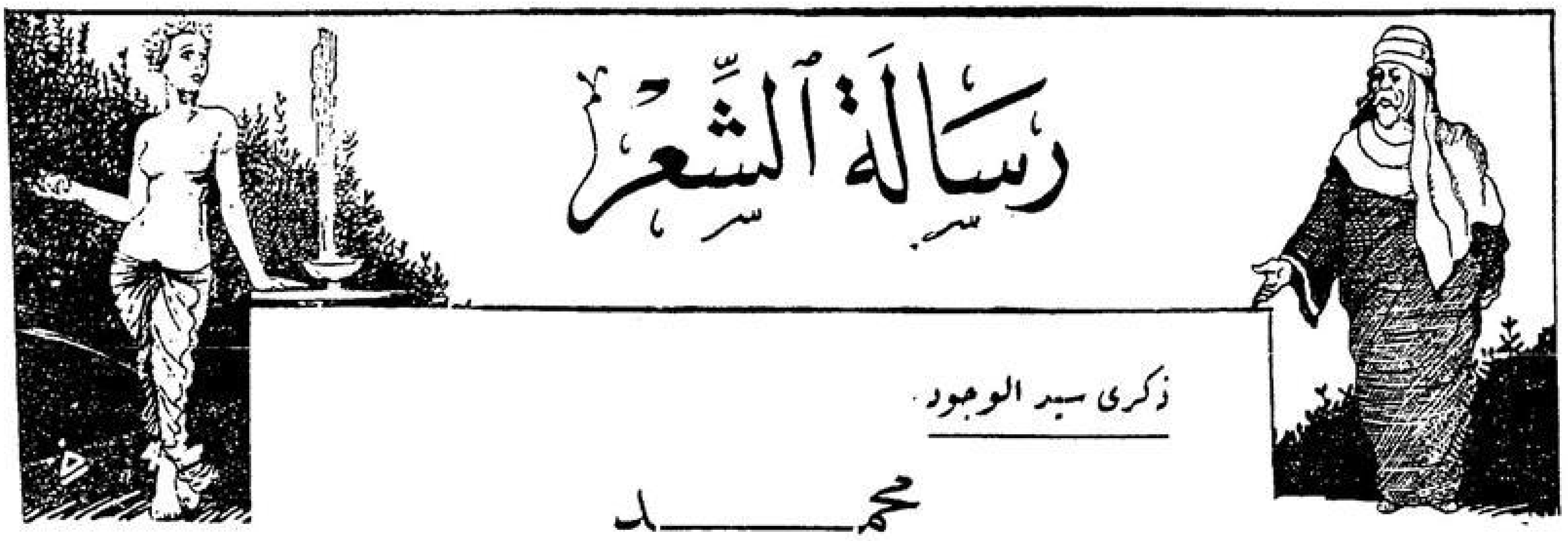
.... وكنا نسير فى الغرفة جيئة وذهوبا ولم يسعنى إلا التسليم شاعراً بصواب كل كلمة . ومع كل خطوة كنت أحس نفسى أسعد وأنشط . ويجب أن أعترف أن الخطط الكبيرة واللاتى لم يمكنى أن أخلص الى فكرة واضحة بصددها لم تكن بالعبء الهين على

إني لأشعر أن كلمات جوته زادتنى حكمةَ سنوات ، وعرفت مافى مقابلة الأستاذ الحق من التوفيق والخير

نصرى عطا الله غطاس

(الرسالة) سألنا بعض القراء عن عنوان الكاتب الأديب فنرجو أن يبعث به إلينا

(١) يقصد جوته الهيكل العظمى للموضوع كما فعل هو فى فاوست وكما فعل شكسبير فى أكثر ما أنتجه



ذكرى سيد الوجود

محمد

للأستاذ أنور العطار

نَحْنُ فِي مَوْلِدِ الْمُتَوَّجِ بِالنُّو   رِ وَفِي لَيْلَةِ الرِّضَا وَالْمَغَانِمْ
حَفَلَتْ بِالطُّيُوبِ فَالْعَالَمُ الْوَا   سِعُ حَقْلٌ مِنَ الْأَزَاهِيرِ فَاغِمْ
وَالنُّجُومُ الْمُفَضَّضَاتُ عُيُونٌ   شَاخِصَاتٌ وَالْكَائِنَاتُ مَبَاسِمْ
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ رَانٍ أَخِيذٌ   ذَاهِبُ اللُّبِّ مُسْتَطَارٌ سَاهِمْ
طَفَحَ الْكَوْنُ بِالْأَذَى وَالضَّلَالَا   تُ وَضَجَّتْ رِحَابُهُ بِالْمَآثِمْ
فَمَنِ الْحَامِلُ الْبَشَائِرَ لِلْأَرْ   وَاحِ، مَنْ ذَلِكَ الْحَبِيبُ الْقَادِمْ
وَهَبَ الْبُرْءَ لِلْقُلُوبِ الْوَجِيعَا   تِ، وَنَحَّى عَنِ الْحَيَاةِ الْمَظَالِمْ
وَأَعَادَ الْإِنْسَانَ رُوحاً نَقِيًّا   خَالِصاً مِنْ حُقُودِهِ وَالسَّخَائِمْ
صَفْوَةَ الْخَلْقِ أَيُّ نُورٍ عَلَى الْأُفْـــقِ بَهِيٍّ، جَمِّ التَّلَامِيعِ، حَائِمْ
سَطَعَتْ مِنْ سَنَاكَ هَذِي السَّمَوَا   تُ وَرَفَّتْ بِكَ الدُّنَا وَالْعَوَالِمْ
أَنْتَ نَجْوَى الْأَرْوَاحِ فِي كُلِّ جِيلٍ   وَشُعَاعُ الْهُدَى، وَرَوْحُ النَّوَاسِمْ
تَتَنَاجَى بِكَ الْقُلُوبُ الْحَيَارَى   وَتَغَنَّى بِكَ النُّفُوسُ الْهَوَائِمْ
يَا سَمَاءَ الْجَلَالِ يَا رَفْرَفَ الْخُلْـــدِ وَيَا صُورَةَ النَّعِيمِ الدَّائِمْ
لَأَصُوغَنَّ مِنْ نَدَاكَ الْأَنَاشِيـــدَ، وَأَفْتَنُّ فِي ضُرُوبِ الْمَلَاحِمْ
كُلُّ بَيْتٍ يَكَادُ يَقْطُرُ بِالرِّفْـــقِ وَيَخْضَلُّ بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمْ
يَا نِدَاءَ الْمُعَذَّبِينَ الْأَسَارَى   وَدُعَاءَ الْمُرَوَّعَاتِ النَّوَادِمْ
كُلُّهُمْ رَاكِضٌ إِلَيْكَ يُرَجِّيـــكَ، وَكُلٌّ مُوَلَّهٌ بِكَ هَائِمْ
ظَفِرُوا مِنْكَ بِالسَّمَاحَاتِ تَتْرَى   وَغَنُوا بِالرِّضَا الشَّهِيِّ الْمَنَاعِمْ
صُغْتَ لِلنَّاسِ شِرْعَةً مِنْ عَلَاءٍ   وَحَنَانٍ وَطِيبَةٍ وَمَرَاحِمْ
الْهِدَايَاتُ حَانِيَاتٌ عَلَيْهَا   وَالْعِنَايَاتُ طَائِفَاتٌ حَوَائِمْ
لُذْتَ بِالْغَارِ تَتَّقِي شِرَّةَ النَّا   سِ وَتَنْسَى الْعُدْوَانَ مِنْ كُلِّ نَاقِمْ
وَحِرَاءٌ بِكَ اسْتَطَالَ عَلَى النَّجْـــمِ وَتَاهَتْ بِهِ الصُّخُورُ الْجَوَاثِمْ
يَشْتَهِي الْخُلْدُ لَوْ تَغَلْغَلَ فِيهِ   حُلُماً فَاتِنَ الْمَسَرَّاتِ نَاعِمْ
ضَمَّ فِي سَاحَتَيْهِ نُوراً مِنَ اللَّـــهِ تَسَامَتْ بِهِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمْ
وَبِنَفْسِي عَنَاكِبٌ نَاسِجَاتٌ   لَكَ سِتْراً يَقِيكَ مِنْ كُلِّ آثِمْ

* * *

سَعِدَتْ بِالْهُدَى رِحَابُ الصَّحَارَى   وَتَلَالَتْ فِيهَا الْمَوَامِي الطَّوَاسِمْ
أَعْشَبَ الْقَفْرُ وَازْدَهَى الصَّخْرُ الصَّـــلْدُ وَفَاضَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ النَّوَاجِمْ
وَتَنَدَّتْ هَذِي الرِّمَالُ الْعِطَاشَى   كَاللَّآلِي فَرَائِداً وَتَوَائِمْ
تَتَغَنَّى وَالْكَوْنُ يَهْتِفُ جَذْلَا   نَ فَتَهْتَزُّ فِي الْعَلَاءِ الْغَمَائِمْ
فَهْيَ حُلْمٌ عَلَى اللَّيَالِي جَمِيلٌ   وَهْيَ نَايٌ عَلَى مَدَى الدَّهْرِ نَاغِمْ
اسْمَعِ الرَّمْلَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ تَسْبِيـــحاً بِصَوْتٍ مُجَلْجِلٍ كَالزَّمَازِمْ
رَعَدَتْ فِي مَدَاهُ تَكْبِيرَةُ اللَّـــهِ وَسَالَتْ بِهِ الْجُيُوشُ الْخَضَارِمْ
قَهَرَتْ بِالْكَتَائِبِ الْغُلْبِ كِسْرَى
وَهِرَقْلاً وَكُلَّ مَلْكٍ ضُبَارِمْ
رَفْرَفَتْ رَايَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهَا   فَاسْتَظَلَّتْ بِهَا الْأُمُورُ الْقَشَاعِمْ
فَإِذَا الْكَائِنَاتُ تَسْبَحُ بِالنُّو   رِ وَتَفْتَرُّ عَنْ ثُغُورٍ بَوَاسِمْ

فَعلى الأُفْقِ مِنْ سَناهَا رُسُومٌ وَعَلى البِيدِ مِنْ رُؤاهَا عَلائِمْ

* * *

يا صِحَابي وَمَعْشَري وَقَبيلى آنَ أنْ تَسْتَفِيقَ تِلْكَ الصَّوارِمْ
صَدَّأَ الدَّهْرُ لم يَنَلْ مِنْ ظُبَاهَا فَهْيَ مَسْنُونَةُ الشِّفَارِ حَوَاسِمْ
فامْنَعُوهَا غُمُودَهَا وَكَرَاهَا واسْتَثِيرُوا بِهَا دَفِينَ العَزَائِمْ
لا تَنَامُوا عَلَى الإِسَارِ وَتَغْفُوا فلقد مَلَّتِ القُيُودُ المعاصِمْ
وَانفضُوا عَنكُمُ الرُّقَادَ وَهُبُّوا لم تَلِنْ هذه الحياةُ لنائِمْ
يا لَحُلْمٍ مُلَفَّقٍ قَدْ أَضَعْنَا في رُؤاهُ تيجانَنَا والعَوَاصِمْ
فَنِيَتْ في دُجَاهُ قافِلةُ المجْدِ وَمَاتَتْ فيهِ النفُوسُ القَوَاحِمْ

* * *

يا نَبيَّ الهدَى لقَدْ ذَلَّتِ العُرْبُ وَقِيدَتْ إلى الرَّدَى بالشَّكائِمْ
سُلِبَتْ حَقَّهَا وَدِيسَ حِمَاهَا وَاسْتَكانَتْ لِكُلِّ أَرْعَنَ ظالِمْ
يا سَماءُ اهْبِطِي وَيَا أَرْضُ مِيدِي غَصَبَ الأَلأَمُونَ مَجْدَ الأَكارِمْ
أَيْنَ قَوْمِي وَأَيْنَ مُلْكٌ على الدَّهْرِ أَضَاءَتْ بِهِ اللَّيَالي القَوَاتِمْ
زَيَّنُوا مَفْرِقَ الزَّمَانِ وَتَاهَتْ بِهِمُ هَذِهِ النُّجُومُ الحَوَالِمْ
يا بَقَايَا السُّيُوفِ، رَمْزَ الأَضَاحِي وَشِعَارَ الفِدَا، وَسِرَّ العَظَائِمْ
أَوْقِدُوهَا حَمْرَاءَ تَلْتَهِمُ الأُفْقَ فَتَشْوِي بِهَا اللَّظَى والسَّمَائِمْ
وَامْنَحُوهَا دِمَاءَكُمْ تَتَنَزَّى وَامْهَرُوهَا أَرْوَاحَكُمْ والجَمَاجِمْ
وَامْلِكُوا الأَرْضَ أَنتُمْ سَادَةُ الأَرْضِ، وَأَنتُمْ بنو اللُّيُوثِ الضَّرَاغِمْ
أَنتُمُ الأَسْبَقُونَ في حَلْبَةِ العِزِّ بِكُمْ تَنْجَلِي العَوَادِي الغَوَاشِمْ
... كَذَّبَتْنَا أَحْلامُنَا وَالأَمَانِيُّ فَيَا ضَيْعَةَ الذَّلِيلِ الحَالِمْ
وَخَسِرْنَا أَمْجَادَنَا وَعُلانا وَذَلَلْنَا كَمَا تَذِلُّ البَهَائِمْ
وَأَفَقْنَا نَهْبَى لِكُلِّ أَثِيمٍ وَحِمَانَا والسَّاكِنُوهُ غَنَائِمْ
يا لَرَبْعٍ مُهَدَّمٍ مُسْتَبَاحٍ دَنَّسَتْ قُدْسَهُ نِعَالُ الأَعَاجِمْ
وَهُوَ عَرْشُ الشُّمُوسِ، مَهْدُ البَهَالِيلِ، وَمَثْوَى المُنَافِحِينَ الصَّلادِمْ
قَدْ ضَجِجْنَا من البُكَاءِ كَأَنَّا قد سَلَبْنَا النُّوَاحَ هَذِي الحَمَائِمْ
وَلَهَوْنَا عَنِ العُلَى بِحَزَازَاتٍ شِدَادٍ لَهُنَّ فِعْلُ الأَرَاقِمْ
وَأَقَمْنَا على العَوِيلِ كَأَنَّا حَشَرَجَاتٌ تَضِيقُ عنها المآتِمْ

بغداد أنور العطار

فراش الربيع

للأستاذ محمود الخفيف

طِرْ من الحقْلِ إلى الرَّوْضِ المَريعْ باحثاً عن نَشْرِهِ
أَفْضِ للزَّهرِ بأسرارِ الرَّبيعْ واسْتَرِق من عِطْرِهِ
وافِهِ بَيْنَ شَتيتٍ وَجميعْ واقْتَبِسْ وَشْيَ الضُّحَى من سِحْرِهِ

* * *

مِلْ إلى الجدْوَلِ وارقُصْ حَوْلَهُ غازِلِ الشَّاطِئَ واشْهَدْ صُوَرَهْ
ثِبْ إلى الدَّوْحِ تفَيَّأْ ظِلَّهُ لاعِبِ الغُصْنَ وداعِبْ ثَمَرَهْ
مَلْعَبٌ يَصْبُو لهُ كلُّ قَلْبٍ خَبَرَهْ
خُذْ جَنَاهُ كلَّهُ زَهْرَهُ أو شَجَرَهْ

* * *

تَتَوَافَى لَكَ أَسبابُ المُنَى أَيُّهَا الرُّوحُ الدَّؤُوبُ الحائِمُ
فَهُنَا حيناً وحيناً هاهُنَا نازِحٌ طَوْراً وطَوْراً قادِمُ
أَمَشُوقٌ هائِمٌ ؟ أَم خَلِيٌّ ناعِمُ ؟
أَمْ شَرُودٌ أَنتَ لاهٍ سائِمٌ ؟

* * *

أَنْتَ يارَفَّافُ مَوْصُولُ الجذَلْ أَيُّ هَمٍّ شَغَلَكْ ؟
ثَمِلٌ تَرْقُصُ من فَرْطِ الثَّمَلْ إذ تُلَقَّى أَمَلَكْ
ياطَليقاً مادَرَى مَعْنَى المَلَلْ أَيُّ حُسْنٍ رائعٍ لم يَكُ لكْ ؟

* * *

يا طَرُوباً ليسَ يدرِي ما الشَّجَنْ وَيْكَ ياهَيْمانُ وَيْكْ!
رَفَّ في مَرْآكَ مَطْوِيُّ الزَّمَنْ فَخَفَتْ روحي عليك
ما لِقَلْبي بين شَجْوٍ وسَكَنْ خافِقاً يَهْوِي إليك؟

* * *

ذَكَرَ العَيْشَ الذي لو يُشْتَرَى اشترى الأَيامَ مِنْهُ بالسِّنين!



التصوير التوضيحي

في المخطوطات الاسلامية

للدكتور أحمد موسى

— ٢ —

كان من حسن الحظ أن ساهمنا في العدد الممتاز الذي أصدرته مجلة الرسالة بمناسبة العام الهجري بموضوع أتينا فيه على بعض ما للعرب في مختلف الفنون التصويرية لتوضيح النصوص وتصوير كتب العلم والأدب مما يجلو غوامضها للقراء والراغبين في العلم، فنشرنا بضع صور ضوئية منقولة عن بعض المخطوطات القيمة في علم تخطيط الأرض والفروسية والتوقيت والكيمياء. وقد وعدنا القراء في ختام المقال السابق باستيفاء هذا الموضوع الطريف حقه من البيان. وها نحن أولاء قد وفقنا بعد البحث إلى ثلاثة كتب مخطوطة زينها مؤلفوها بالتصاوير والأشكال الحقيقية تارة والرمزية طوراً؛ ففي كتاب «نهاية الإدراك في دراية الأفلاك» لمؤلفه قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي جملة صور فلكية أهمها صورة كسوف الشمس وقد جاء فيها :

« لكون القمر هو الكاسف والتوالي من المغرب إلى المشرق وهذه صورة الكسوف، الفصل الرابع في أزمان ما بين الخسوفين والكسوفين، أما الأول فمعرفته مبنية على معرفة حدود الخسوفات وهي مقدرة باثني عشر جزءاً من بعد القمر عن إحدى المقدتين

فيكَ مرآهُ وفي دُنيا الكرى ... وادِّكارِ النفْسِ حيناً بعدَ حِين

* * *

حينما كُنّا صغيرين معاً ... لا نملُّ الوثْبَ في ظلِّ الشَّجَرْ
ونرى الرَّوْضَ جميعاً مرتعاً ... كم تملَّيْنا بِهِ أبْهَى الصُّوَرْ
زهرتي فيهِ تبدَّتْ أرْوَعا ... من سَنَا الصُّبْحِ ومِنْ سِحْرِ الزَّهَرْ!

* * *

آهِ! كم توجعُ نفسي «حينما» ... يا خَلِيًّا لَيْسَ يدْرِي ما بِيَهْ
وَيْكَ يا قَلْبي! أتهفو كلَّما ... طافَتْ الذِّكْرَى وتصبو ثانيه؟!
كُفَّ يا قلبُ عن الشكوى فما ... ينقعُ الآلُ قُلُوباً صادِيهْ

* * *

كم جَهَدْنا وجَرَيْنا في الضُّحَى ... لا نُرَى في لهوِنا إلا لديكْ
ومَلِلْنا الرَّوضَ إلا مسْرَحاً ... تتهاوى فيهِ بالأيدي عليكْ

* * *

أنا يا هيمانُ عنِّي واقتربْ ... كالرؤى طافت بحُلْمِ الناعسِ
هِجْتَ يا لاعِبُ نفسي لِلَّعِبْ ... ما غَنَائي من زمَاني الدَّارِسِ؟

* * *

ويك! إنا نلعب اليومَ كما ... قد لعِبْنا أمس في غَيْرِ مَلَلْ
نبدأُ الشَّوْطَ ونَمْضي كلَّما ... رَفَّ يا رَفَّافُ للنفْسِ الأمَلْ

* * *

لهْوُنا اليَوْمَ بِهَاتيك المنى ... تَتَراءى بَيْنَ نَشْرٍ وَعَدَمْ
نحْنُ كالأطفالِ إلا أننا ... نَقْتُلُ اللذَّةَ فيها بالألم!
نقْرَعُ السِّنَّ على ما فاتنا ... ونذوقُ الصَّابَ مِن كأسِ النَّدَمْ

* * *

رِفَّ يا لاعِبُ وارتع وانْعَمِ ... واقْضِ من عيشكَ في الزَّهْرِ الوطرْ
اجْنِ اللَّذَاتِ واخْتَرْ واغْتَنِمِ ... لكَ في نورِ الضُّحَى عُمْرُ الزَّهَرْ

* * *

وَيْحَ لِلإنسانِ ما أجْدَرَهُ ... بِهُيام مِثْلِ هذا ومِراحْ
عُمْرُهُ المكدُودُ ما أقْصَرَهُ ... خَفَقَاتٌ من مَساء وصَبَاحْ

الخفيف

فى أى جهة كان ، لأن عرضه إذا جاوز هذا الحد زاد على



ش ١ — مقر النيرين فى وقت الكسوف

نصفى القطرين ، لأن غاية عظم نصف قطر دائرة الظل وهو إذا كان القمر فى حضيض التدوير ست وأربعون دقيقة . وغاية عظم نصف قطر القمر ثمانى عشر دقيقة، والعرض المساوى لمجموعهما وهو أربع وستون دقيقة إنما حصل على بعد اثنى عشر جزءاً وكسر من العقدة أو على بعد إحدى عشرة درجة ونصف بالتقريب يكون العرض درجة فبعد تجاوز العرض عن الحد يزيد على نصفى القطرين ولا يمكن الخسوف حينئذ وبهذا الاعتبار ينقسم المائل إلى أربعة أقسام ... الخ [1] »

وقد زين هذا المتن بصورة القمر والشمس من أعلاه والأرض من أسفله ، ورسم دائرة كبرى كتب على محيطها الفلك الممثل ومر محيطها بمركز الشمس ، وداخلها دائرتان متساويتا القطرين تقابل محيطاهما فى مركز القمر . وكتب على محيط اليسرى منهما منطقة ممثل القمر ، وعلى اتجاه مركز القمر وفى استقامة اتجاه مركز الشمس رسم الأرض مبيناً مركزها ، وعلى محيط الأرض اختار موضع الناظر ، كما أظهر مخروط القمر ومخروط الظل

ويرى الناظر المتأمل أن هذه الصورة لا تختلف شيئاً عن التصوير العلمي لمقر النيرين فى وقت الكسوف ، فضلا عن الدقة التى اتبعها المؤلف فى رسم الدوائر الست بالرغم من أن عصر المؤلف يرجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى

أما الكتاب الثانى فهو فى الكيمياء القديمة ويرجع تاريخ تأليفه إلى القرن الخامس عشر على الأرجح ، وهو يتناول ضمناً تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب . ونص الصفحة التى ننقلها هو « صفة ما نقل من صحف ووسيموس وأوثاسيا : خذ من حجر — كا — ما شئت وهو الكبريت الأحمر الذى لا يخلو منه مكان والتى من الكبريت الأبيض مثله واسحقه فانه يذهب

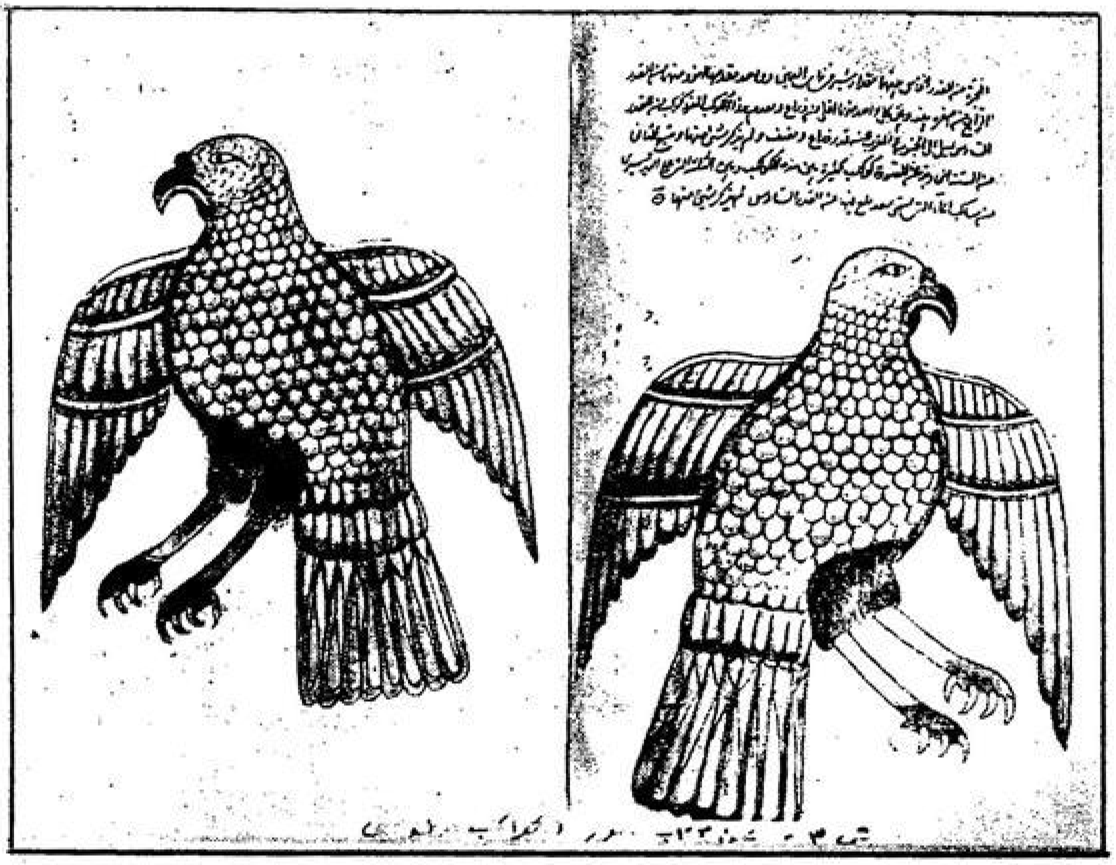


شكل ٢ — تحويل الزئبق إلى ذهب

بصلابته والتى مثلهم زيتقاً بحذروا عملهم فى النار ساعة ثم أعيد

(١) راعينا أن يكون النقل طبق الأصل

عليهم السحق والسقى إلى أن يعجبك لونه ، فالق منه على حجر (؟) يصير ذهباً إبريزاً والحمد لله تعالى ... » وتحت هذا المتن متن آخر انفصل عنه بصورة تمثل ستة رجال بوجوه كاملة الاستدارة (ش ٢) ، وإلى يمين هذه الرؤوس صورة الهلال وإلى يسارها صورة البدر ، وإلى يمين ويسار المتن وقف رجلان أمسك كل منهما بسلسلة التفّت حول عنق الستة الرجال الذين وضع كل منهم يسراه على صدره . وفى نهاية الصورة رموز شملت بعض حروف إغريقية وهيروغليفية وعربية ، فكانت إلى الطلاسم أقرب منها إلى الكلام المفهوم . ويرى المتأمل فيها بعض صور أشبه شىء برسم القلب والسيف والصليب



شكل ٣ — عن كتاب صور الكواكب للطوسى

والصورة (ش ٣) منقولة عن كتاب صور الكواكب لعبد الرحمن بن عمر الطوسى ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي . وهى تمثل النسرين الواقع والطائر . وقد جاء فوق صورة النسر الأيمن ما أوله : المجرة عند القدر الخامس بينهما مقدار شبر من رأس المين ... الخ وحلّى كل نسر منهما بعدد الكواكب المشرقة فى بدنه وجناحيه وذيله ومخالبه

يرى القارئ مما تقدم أن التصوير كان مستعملا عند العرب لتفسير ما غمض فى المؤلفات العلمية بقصد تمام التوضيح على قدر ما سمحت به وسائلهم ولا سيما فى علمى الكيمياء والفلك ، فإن أدوات الرصد كانت معدومة تقريباً ، ولم يكن لدى الفلكى منهم سوى قواعد الحساب على الطريقة القديمة ، كما كانت الأدوات الكيميائية ووسائل الصهر غير موجودة بالصفة التى نراها الآن

وإذا كان العرب قد اجتهدوا فى تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وأخفقوا ، فان نظريات الكيمياء والطبيعة الحديثة أثبتت إمكان تحويل المعادن بالصهر . ولا ننس آخر الأنباء من أن عالماً ألمانياً هو الأستاذ ميتا أمكنه تحويل الزئبق إلى ذهب بالحرارة ، فكأنه بذلك سجل الأقدمية لعلماء العرب

وفى مقالنا القادم سنتناول ناحية أخرى من نواحى التصوير الإسلامى

أحمد موسى



كارنا وكونتى

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندى

للأديب شكرى محمد عياد

(كان لكونتى ملكة «بنداوا» قبل زواجها ولد هو كارنا الذى أصبح فى رجولته قائداً لرهط الكيراوبين ، ولكى تدفع عن نفسها العار هجرته عند مولده فرباه حوذى اسمه أجيرانا)

كارنا — إننى أنا كارنا ، ابن الحوذي أجيراتا ، أجلس هنا على ضفاف الكنج أعبد الشمس الغاربة ، فمن أنت ؟

كونتى — إننى أنا المرأة التى فتحت عينيك لأول مرة على هذا النور الذى تعبده

كارنا — لست أفهم ، ولكن عينيك تصهران قلبي ، كما تقبّل الشمس ثلجاً على قمة جبل ، وصوتك يبعث فى حنايا صدرى حزناً أعمى ، ثوى السر فيه بنجوة من ذكرياتى الأولى . خبرينى أيتها المرأة الغريبة ، أى لغز يصل مولدى بك ؟

كونتى — صبراً جميلاً يا بنى . سوف أجيبك حين تنسدل أجفان الظلام على عيون النهار المستطلعة . أما الآن فاعلم أننى كونتى

كارنا — كونتى ! أمُّ أريونا ؟

كونتى — نعم بلا ريب ، أمُّ غريمك أريونا . ولكن لا تُبْغِضَنِّي لذلك يا ولدى . إننى ما برحت أذكر يوم السلاح فى هاستينا ، حين قفزت إلى الحلقة فى جرأة وأنت غلام مغمور ، فكنت كشعاع الفجر بين نجوم الليل . آه ! من كانت تلك المرأة التى قبلت عيناها جسدك العاري الرشيق من خلال دموع كانت تباركك وهى جالسة بين نساء القصر الملكى وراء السجوف ؟ كيف ؟ لقد كانت أم أريونا ! حينذاك برز البرهمى أستاذ السلاح وقال : « ليس لشاب وضيع النسب أن يبارى أريونا » فوقفت لا تتكلم ، كسحابة برق تأتلق عند الغروب بنور مكتوم . ولكن من هى المرأة التى اشتعل قلبها لعارك وغضبك وأرسل فى سكونٍ لهيبَ النار ؟ هى أم أريونا !

رعى الله دريوجانا الذى عرف قدرك ، وتوجك ثمة ملكا على الأنجا ، فكسب للكرواسى بطلا . لقد ملأ الفرح قلب أجيراتا ، فشق الحشد نحوك ، فهرعت إليه وألقيت عند قدميه تاجك ، وإذا البنداويون وأصحابهم هازئون ضاحكون . ولكن امرأة واحدة من بيت البنداويين توهج قلبها فرحاً بما فى تواضعك من كبرياء البطولة — لقد كانت أيضاً أم أريونا !

كارنا — ولكن ماذا جاء بك هنا وحدك يا أم الملوك ؟

كونتى — لقد جئت أسألك معروفا

كارنا — مريني ، وأيما سمحت رجولتي وشرفى الشاترى فسوف ألقيه عند قدميك

كونتى — لقد جئت لآخذك

كارنا — إلى أين ؟

كونتى — إلى صدرى الظامئ لحبك يا بنى

كارنا — أيتها الأم السعيدة بخمسة ملوك أشاوس ؛ كيف تجدين فى قلبك متسعاً لحبى وما أنا إلا قائد وضيع النسب ؟

كونتى — إن مكانك فيه قبل كل أبنائى

كارنا — ولكن بأى حق أحتله ؟

كونتى — بحقك الموهوب من لدن الله في حب أمك

كارنا — ها هى ذى غبشة المساء تنتشر على الأرض ، والسكون يرين على الماء ، وصوتك يرجع بى إلى دنيا من الطفولة تتناهى فى الذكريات . فليكن هذا حلما ، أو فليكن شعاعاً من حقيقة منسية ، ولكن تعالىْ وضعى يمناك على جبيني . إن الناس يتناقلون أن أمى هجرتنى . وكم من ليلة زارتنى فى نومى ، ولكن

حين كنت أصيح بها : « إرفعي عنك القناع ، أريني محياك ! » كان شبحها دوماً يتلاشى . فهل زارني الليلة عين ذلك الحلم أو أنا يقظان ؟ أنظرى ! هاك المصابيح تلوح عن بعد وراء النهر مضاءة فى خيام ابنك ؛ وعلى هذه الضفة خيام أصحابى الكيراوبين كأمواج عاصفة فى البحر علقها ساحر . لماذا يجيئنى صوت أم غريبى أريونا برسالة من الأمومة المنسية ، فى رهبة هذا المرج حيث يدوى طنين معركة الغد ؟ ولماذا يسكب لسانها فى أسمى هذه الموسيقى فيجتذبنى إليه وإلى إخوته ؟

كونتى — إذن فلا تتريث يا بنى ، تعال معى !

كارنا — أجل ، سوف أجئ ولن أسألك سؤالا ، فلا تساورك إذن ريبة . إن روحى نستجيب لندائك ، والكفاحُ فى سبيل النصر والذكر ونارُ الشنآن قد عادت أمام عينى أوهاماً وضلالات ؛ كما يتلاشى هُذاء الليل فى جلال الفجر . خبرينى أنّى تقودينني ؟

كونتى — إلى الضفة الأخرى من النهر حيث تشتعل هذه المصابيح فى شحوب الرمال المروَّع

كارنا — أوَسوف أجد هناك حتى الأبد أمي المفقودة ؟

كونتى — آه يا بنى !

كارنا — إذن فلماذا طردتنى شريداً جثّ من أرض أجداده ، صعلوكاً يرجَحِنُّ فى تيار من الخزيان ؟ لماذا ضربت بينى وبين أريونا هوة لا تُجتاز ، ورددت أزكى ميول الدم إلى أنكى عواطف البغضاء ؟ إنك تبقين صامتة . إن عارك يسرى فى الظلام البعيد ويبعث فى أطرافى رعدة لا ترى . أبداً لا تذكرى لى ما جعلك تسلبين ولدك حب أمه ! ولكن خبرينى لماذا جئت اليوم تسترجعيننى إلى أطلال سماء ثلت عروشها بيديك ؟

كونتى — إن لعنة تحل علىّ هى أشق من لومك . إنى وإن تكنّفنى خمسة أبناء ليرفرف قلبى كقلب أم حرمت بنيها ؛ ومن هذا الجرح الذي انشق على أول أبنائى ، ولّت كل مسرات حياتى . فى ذلك اليوم اللعين حين خنت أمومتى ، لم تكن أنت تستطيع أن تفوه بكلمة . واليوم تضرع إليك أمك النادرة أن تمنحها من لدنك ألفاظاً كريمة . دع غفرانك يحرق قلبها كالنار ويلتهم خطيئته

كارنا — أماه ، تقبلى منى دموعى ؟

كونتى — ما كانت أملى من المجئ أن أعيدك إلى ذراعى ، بل لأعيد إليك حقوقك . تعال وتقبل كابن ملك مكانك بين إخوتك

كارنا — إنه أحب إلى أن أكون ابن حوذي . إني لا أتوق إلى مجد نسب أعظم من نسبه

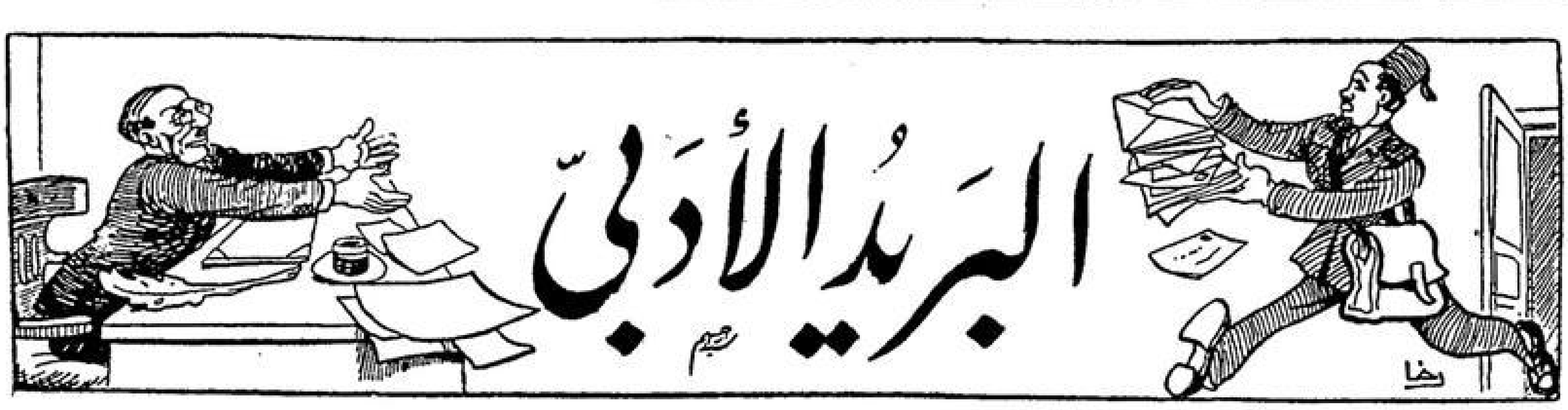
كونتى — فليكن ذلك كما تريد . ولكن تعال واسترجع مملكتك فهي حقك !

كارنا — أتعزيننى بمملكة وأنت التى استكثرت علىّ حب أم ؟ إن صلة الرحم التى اجتثثت جذورها قد ماتت ، ولن تستطيع أن تحيا مرة أخرى . لى العار إن أنا ناديت أم الملوك أماً ، ونبذت أمى فى بيت الحوذى !

كونتى — أنت عظيم يا بنى ! لكم ينمو قصاص الله من بذرة ضئيلة إلى حياة حافلة ! ها هو ذا الوليد الذى نبذته أمه يعود فينبعث من ظلام الحالك ثم رجلاً يسحق إخوته

كارنا — أماه لا تخشى شيئاً ! إنى لعلى يقين من أن النصر للبنداوبين ، وفى هذا الليل الهادئ الساجى يمتلئ قلبي بموسيقى من المغامرة اليائسة والنهاية الغامضة . لا تسأليني أن أنسل من بين أولئك الذين حنت عليهم الهزيمة ؛ فليكسب البنداويون العرش إذا لم يكن من ذلك بد ، ولأبعد أنا مع اليائسين والمحزونين . لقد تركتنى للخزى ليلة ميلادى ، عارياً غير مُسمَّى ؛ فاتركينى مرة أخرى بغير شفقة أنتظر الهزيمة والموت فى هدوء !

شكرى محمد عياد



فى معرض الفنون

سيدى صاحب الرسالة

فى « الرسالة » رقم ٢٥٣ مقال عنوانه : « جولة فى معرض الفنون » بقلم نصرى عطا الله سوس . وقد كنت أعددت للرسالة مثل هذا المقال ، فاذا المقال المنشور يوافق ما كنت أعددته ، فرأيت إهماله . غير أنى أحب أن أزيد على ما جاء فى مقال الأستاذ نصرى عطا الله سوس النفيس أن أبرز ألواح المعرض إنما هى من صنع السيدة إيمى نمر وطريقتها التأثرية الرقيقة البعيدة عن تعقيدات « المدارس » ، ثم الصديق محمود بك سعيد وإن أصبح ينسج على منوال واحد من التعبير ، ولكنه تعبير قوى أقرب إلى فن النحت التمثيلى منه إلى التصوير . ثم إني لأشارك الأستاذ سوس فى ذهابه إلى أن أسلوب إدمون صوصة لا يعدو المحاكاة الضاربة إلى « الفوتوغرافية » . وأما جورج صباغ فأسلوبه فوق هذا ، لأن محاكاة الطبيعة عنده إنما يجرى بين جوانبها ماء الفن ، إلا أنه فن يرجع إلى الحذق والدراية لا إلى التأثر الدفين واستلهام ما وراء المنظور وتدوين اللواعج والهواجس . وذلك لأن جورج صباغ — على نباهته — أو قل من أجل نباهته يندرج فى سلك « الأكاديميين »

بقى أن الأستاذ سوس وعدنا أن ينشر فى الرسالة « سلسلة من المقالات يبين فيها فلسفة الفن الحديث وأصوله ومذاهب الفنانين المختلفة ومميزات كل مدرسة ، إلى غير ذلك مما يتصل بالتصوير والنحت والرسم » لأنه « لاحظ أنها مجهولة تماماً بين كل من تعرف إليه » . وهذا قول حق ، فان من المتعذر على ناقد الفن أن ينشىء المقالات وجمهور القراء عن أصول الفن وتاريخه متغافلون قليلا أو كثيراً . ولقد أفضت فى هذا الموضوع لسنتين مضتا فى صحيفة الأهرام (١٨ مايو سنة ١٩٣٦) : « على هامش معرض الصور » . فعسى الأستاذ سوس أن ينبرى للكتابة فيما يشغل صدره وصدر المشتغلين بالفن أو بنقده .

بشر فارس

المصريون واللغة الحبشية

من مآثر الشباب المصرى الذين يطلبون العلم الرفيع فى جامعات أوربا ذلك السِّفر النفيس الذى نشره لشهرين مضيا الأستاذ الدكتور مراد كامل وهو ممن بعثته الجامعة المصرية لتلقى اللغات السامية فى ألمانيا

وموضوع هذا السفر (ويقع فى ٣٨١ ص من القطع الكبير) « تاريخ اليهود » ليوسف بن كريون المشهور بيوسفوس ، وقد طبع باللغة العبرية غير مرة وباللغة العربية مرتين . وأما باللغة الحبشية فلم يطبع منه سوى صفحات معدودة ، فرأى الدكتور مراد كامل أن يطبع الترجمة الحبشية لهذا الكتاب ، واعتماده فى ذلك على اثنتى عشرة مخطوطة أصابها فى برلين وفرانكفورت أمْ مَيْن ولندن وباريس وشتراسبرج . وقد عمل للكتاب مقدمة علمية غاية فى الدقة وصف فيها المخطوطات وبحث فى الأصل العبرى والترجمة العربية له ، ثم زاد على هذا جدولاً أثبت فيه ماسقط فى النص العربي وهو مدون فى النص الحبشى ، ثم ماسقط فى هذا وهو مدون فى ذاك إتماماً للفائدة

ونشر الكتاب دليل ناهض على رسوخ الدكتور مراد كامل فى معرفة الحبشية والعبرية والعربية وتمكنه من فن الاستشراق وأساليب البحث العلمى وطرق معارضة الأصول ونشر المخطوطات.
ثم إن هذا السِّفر النفيس نال به ناشره الدكتوراه فى العلوم الفلسفية من جامعة توبنجن بألمانيا على يد المستشرق الكبير الأستاذ لِتمن من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى . وسيقفل الدكتور مراد كامل إلى مصر بعد أشهر معدودة ليقوم بتدريس

اللغات السامية فى الجامعة المصرية ، وهو يطبع الآن فى ألمانيا رسالة أخرى لنيل إجازة التدريس العالى (الأجريجاسيو) ، وموضوع الرسالة « الفعل الرباعى فى اللغات السامية »

مستشرق يسطو على كاتب شرقى

نشر المستشرق الفرنسى الأستاذ إميل درمنجهيم فى المجلة الفرنسية le mois (عدد مارس ، ابريل ١٩٣٨) بحثاً عنوانه : « الحالة الحاضرة للأدب العربى » وقد نقلته جريدة «المكشوف» البيروتية الى اللغة العربية . والحق أن هذا البحث لايعدل المباحث القويمة التى يكتبها كبار المستشرقين أمثال كراتشكوفسكى وجِبّ وماسينيون وكامفاير ؛ وإنما هو عرض جاف لا ينم على اتصال بالحياة العربية ، ولا على تفهم لأسرار اللغة العربية ، ولا على تذوق لتآليف كتابنا المحدثين . والسبب فى ذلك أن المؤلف لم ينظر فى الأصول نفسها ولم يدرس حياتنا الاجتماعية عن كثب ، ولكنه اعتمد على ثلاثة مباحث ، فجاءت كتابته ضرباً من الفضول . وأما المباحث الثلاثة فالكتاب الذى ألفه كامفاير وخميرى باللغة الانجليزية سنة ١٩٣٠ وعنوانه « الزعماء فى الأدب العربى الحديث » ، ثم المقالات التى نشرها الأستاذ جِبّ فى « صحيفة مدرسة اللغات الشرقية » حول الأدب نفسه ونقلتها جريدة السياسة إلى العربية ، ثم المحاضرة التى ألقاها الأستاذ الدكتور بشر فارس فى معهد الدراسات الاسلامية فى السوربون ثم نشرتها « مجلة الدراسات الاسلامية » لمنشئها الأستاذ ماسينيون سنة ١٩٣٦ (الجزء الثالث) فى باريس . ولما كانت هذه المحاضرة موقوفة على الأدب العربى الحديث جداً وتتناول موضوعات مهمة مثل الصعوبات التى يلقاها الكاتب العربى الحديث فى ميادين اللغة والثقافة والاجتماع ، فقد سطا عليها المؤلف بغير دراية دفينة بالموضوع ، فأخذ منها كلامه على المشكلات اللغوية ، ومصاعب الحياة الاجتماعية ، وطرائق الكتاب فى التأليف ، وألوان معالجة الموضوعات وخصائص الأساليب من قديمة وحديثة ، وتأثير اللغة الافرنجية فى الانشاء العربى ، وظواهر النضال القائم بين أنصار التقليد وأنصار التجديد . وكأن المؤلف شعر بأنه غلا فى الأخذ فذكر صاحب المحاضرة مرة واحدة فى الهامش . وذلك لأنه اقتبس عنه نصف صفحة كاملة بحروفها عند الكلام على جمود اللغويين عندنا ، فلم يكن بد من الاشارة إلى الأصل . فان اتهم بعض كتابنا بالسطو على تآليف المستشرقين ، فهؤلاء المستشرقون يسلطون أيديهم على تآليف بعضنا !

ر . س

كتابة الهمزة

فى (الهلال) الغراء — جزء مايو ٣٨ — هذا القول لسعادة الدكتور بهى الدين بركات باشا : « ان الهمزة وطرق رسمها من المسائل المعقدة التى يبذل تلاميذ المدارس مجهوداً شاقا فى فهمها وحفظ قواعدها . ومع ذلك فكثيراً مايقع الخطأ فيها حتى من جهات لا ينتظر أن تقع فيه . وإلا فما القول فى أن وزارة المعارف تحتفل بعيد المدرسة الخديوية المئينى وتوزع على طلبتها السابقين استمارات تكتب فيها لفظ (يملؤها) خطأ ، اذ ترسمها على (ألف) بدل الواو

أقول : كتابة (يملأها) والهمزة فوق الألف مثل كتابة (يملؤها) والهمزة فوق الواو ، كلتاهما صحيحة . ومن قول ابن قتيبة فى ذلك في (أدب الكتاب) : « وإنما اختار الألف لأن الوقوف على الحرف اذا انفرد وأبدل من الهمزة — على الألف ، وكذلك يكتب منفرداً ، فتركه على حاله إذا أضيف »

وقاعدة الهمزة أسهل قاعدة فى الدنيا ، وتعليمُ معظمها الطلابَ لايقتضى أكثر من ربع ساعة . وهذه قاعدتها بالقول المسهب : دع الهمزة ، وتلفظ بالكلمة تلفظا مقبولا ، ثم ضعها فوق حرف العلة ان كان

تصويب

جاءت « من عبقرية نابغة العرب » فى مقالة (أبو العلاء حرب الظالمين) فى أول المقدمة لاقواله وانما هى العنوان الثانى ، وفى الشذرة (١٠) « ستر ضوؤها » وهو ضوؤها ، وفى الشرح « الفداء » وهو الفراء

بين العقاد والرافعي

قرأت ما كتبه « العضو المنتدب » الأستاذ محمود محمد شاكر فرأيت أنه في الصفحتين الطويلتين اللتين كتبهما ، لم يقل في الموضوع الذى أكتب فيه شيئاً ، إنما هو تعريض وغمز ولمز ، وجمل إنشائية ، وقولة مأثورة من هنا وبيت شعر من هناك على نظام موضوعات الانشاء ، مما لا يتمشى وروح العصر الذي نعيش فيه . ولا أستطيع أن آخذ نفسى به

وقد آثرت أن أذكره برأس الموضوع الذى نتحدث فيه : فهو « أدب العقاد وأدب الرافعى ، ومايدل عليه أدب كليهما من نفسه » . ثم أنتظر أن يكتب شيئاً فى الموضوع ، فان فعل ناقشته وإن لم يفعل فهو وشأنه ، وسأستمر فى طريق

وتلك خطتى كذلك مع من كتب فى العدد نفسه ، يمرّض بين السطور !

سيد قطب

حول كلمة (هال ها)

أشكر للأستاذ محمد عبد الغنى حسن لقاءه الكريم لقصيدتى «البعث» ، وأعتذر من إبطائى فى الرد على رأيه فى كلمة (هال ها)

وبعد فأجيبه أن هذه الكلمة كما ذكرت ابتدعها الأستاذ فريد ، ومادام الأمر أمر ابتداع فلا محل إذاً لردها إلى أصل لغوى. وإذا صح ما ذكره الأستاذ من أن كلمة هال نداء لزجر الابل فإنها محض مصادفة ، إذ لم يدر بخلد الأستاذ فريد عند كتابة هذه الكلمة فى رواية « ميسون الغجرية » أى أصل لغوى كما أخبرنى بذلك

وأما من حيث معنى كلمة Heigh Ho الانجليزية فهى أيضاً كلمة مبتدعة فى تلك اللغة ، فمدار معرفة معناها على استعمالها . وقد استعملها شكسبير وغيره فى بدء أغانيهم التى يريدون بها التعبير عن المرح والانطلاق من القيود كما جاء فى رواية As you like ولقد رجعت إلى قوم من أهل تلك اللغة فاتفقوا على أنها لا تستعمل إلا فى بدء الأغنيـات . أما عن معناها بالضبط فلم أظفر منهم بتحديده ، ومرجع ذلك إلى أنها كلمة سماعية مبتدعة جرت فى الأغانى دون أى اشتقاق لغوى ... هذا وللأستاذ الفاضل شكرى على اهتمامه ودقته والسلام

الخفيف

جوائز وزارة المعارف لوضع كتاب فى تاريخ الأدب المصرى

من الفتح الاسلامى

رأى معالى وزير المعارف تمكيناً للدراسات المصرية وتشجيعاً للبحث الأدبى وضع مسابقة فى تاريخ الأدب العربى فى مصر من الفتح الاسلامى إلى الآن

ويتلخص موضوع هذه المسابقة فيما يأتى :

« للأدب العربى فى مصر طابع خاص اختلف فى العصور الأولى للفتح الاسلامى عنه فيما تلا ذلك من العصور وهو يتناول إنتاج الكتاب والشعراء الذين وفدوا من البلاد العربية والاسلامية إلى مصر وأقاموا بها كما يتناول إنتاج الكتاب والشعراء المصريين الصميمين

وقد تأثرت مصر بالطابع العربي فى أدبها فى حقب مختلفة ، وأثرت فى الأدب العربى بتفكيرها وثقافتها وبحكم البيئة المصرية فى حقب مختلفة أخرى

والذى تطلبه وزارة المعارف وضع رسالة فى نحو ٦٠٠ صفحة من القطع المتوسط حرف مطبعة بولاق بنط ١٥ تتناول تاريخ الأدب العربى فى مصر مقسما قسمين : أدب المصريين الصميمين ، وأدب غير المصريين ممن قاموا بمصر وأثروا فيها أو تأثروا بها ، مع إظهار صلة الأدب من إنتاج هؤلاء وأولئك بالحياة العامة اجتماعية وسياسية واقتصادية ، وإظهار الصورة التاريخية التى يرسمها هذا الأدب المصرى فى عصوره المختلفة

أما الجوائز المقترحة فثلاث مجموعها ٥٠٠ جنيه توزع بين الفائزين حسب رأى لجنة التحكيم على أن تقدم الرسائل إلى الوزارة فى ميعاد لا يتجاوز آخر يناير سنة ١٩٣٩

عصر الفيلسوف ابن مسكويه

سيدى الأستاذ الفاضل محرر الرسالة

بعد التحية : ذكر حضرة الصديق الفاضل الأستاذ محمد حسن ظاظا فى العدد الماضى من الرسالة الغراء أن ابن مسكويه عاش فى العصر العباسي الثالث أى فى العصر الذى يمتاز بضعف الخلافة العباسية . ولعل حضرته يقصد العصر الرابع لأن ابن مسكويه عاش من سنة ٣٣٠ إلى سنة ٤٢١ . وهذه الحقبة من العمر تقع فى العصر الرابع لا الثالث

وقد ذكر حضرته أيضاً أن هـذا العصر يمتاز بتكوين المعاجم اللغوية ، وهذا الكلام القليل يحتاج إلى تفصيل ؛ فان علماء اللغة فى هذا العصر لم يبلغوا فى الكثرة والاحاطة ما بلغه علماء العصور التالية إلى القرن التاسع الهجرى

وأشهر لغويى العصر الرابع ابن دريد صاحب الجمهرة ، والأزهرى صاحب التهذيب ، والجوهرى صاحب الصحاح . أما علماء العصور التالية فأشهرهم ابن سيده صاحب المحكم وقد عاش فى القرن الخامس . والصاغانى صاحب مجمع البحرين ، وقد عاش فى القرن السابع . وابن الأثير صاحب النهاية ، وابن مكرم صاحب لسان العرب وقد عاشا فى القرن السابع أيضاً . والفيومى صاحب المصباح وقد عاش في القرن الثامن . والفيروزبادى صاحب القاموس وقد عاش فى القرن الثامن وأدرك طرفاً من التاسع

(المنصورة) محمد عبد الغنى حسن

ما تهم معرفته كل أديب عربي

تلوت فى جريدة المكشوف الأدبية كلمة تحت هذا العنوان منقولة عن حديث للأستاذ فؤاد أفرام البستاني ، وللأستاذ حفظه الله عندى مكانة متينة واعتقاد حسن بما يكتب ويقول ، لأنه لا يقول إلا بعد تثبت ، ولا يكتب إلا بعد دراسة وافرة . يعالج كل ذلك بصبر وجلد ونشاط . وقد وقع عندى موقع الغرابة رأى له فى المستشرقين لا أدرى كيف كونته له نفسه

يقول : « وإن أذكر شيئاً من هـذه المؤلفات المفيدة على ما فيها من خطأ وصـواب فلا بد من أن أنوه بمعلومات الأب — لامنس — وهى فى نظر كبار المشتغلين بالأدب العربى فى ذروة الأبحاث العلمية ... »

فالأب — لامنس — مستشرق كبير ولا سبيل إلى الشك فيه . ولـكن هل كتب تاريخ العرب بالروح المجردة التى ينبغى أن يكتب بها ؟ (ولا سيما فى المسائل الاسلامية التى بالغ فى التعصب عليها ، مما جعل المؤرخين وعلى رأسهم المستشرقون يشكون فى أمانته العلمية ويتهمونه بركوب متن الشطط) . وهل يغنى فى الرجل سعة اطلاعه وقوة حجته عن الأمانة التى أفسدها ؟ (وهو الذى كان يسلب العرب الفضائل والصفات الخلقية الجليلة التى أجمع المستشرقون على نسبتهـا إليهم ، وكان فى خصومته هذه يعمد فى بعض الأحيان إلى السفسطة والمغالطة [1])

ومثل هذه المغالطات فى تفهم التاريخ ، أو قل فى تأويله بحسب النزعات الشخصية لا يغنى عنها ذكر كلمة — على ما فيها من خطأ وصواب — لأننـا نفهم من الخطإ والصواب شيئاً غير هذه المغالطات المبنية على حاجات هى فى نفس يعقوب . وإذا كانت هذه طريقة الأب — لامنس — فى كتابة التاريخ الاسلامى ، فهل يا ترى من المعقول أن تصبح آثاره في ذروة الأبحاث العلمية ، والأبحاث العلمية لا يجليها عادة إلا عقل متجرد عن كل هوى ، وروح طهرت نفسها من كل درن موروث

ويتم الأستاذ المحدث كلمته : « أما ما ينقل فى بعض الصحف العربية من ابحاث لغوستاف لوبون وسيديو ورينان ، يهول ناقلوها بنعوت المستشرقين يلصقونها بأولئك المؤلفين ، فلقد كان من الخير للاستشراق والناقلين وللصحف أن تدعها فى أماكنها من زوايا المكاتب . » وهذه كلمة ثانية كشفت عن السر الذى أملى الكلمة الأولى لأن التاريخ الذى كتبه هؤلاء المستشرقون هو تاريخ كأنما سطره الغرب للعرب . لأن هؤلاء استطاعوا أن يتجردوا من العوامل الموروثة والتقاليـد المذمومة ، فكتبوا كما أوحى إليهم ضميرهم ، ولم تعمهم محاسن النصرانية عن محاسن الاسلام ، ولم يطمس التعصب على قلوبهم شأن من طمس عليهم .

ولا أدرى أكان هؤلاء ممن يسرون ما لا يعلنون ، أم كانوا يخادعون فيما يسطرون ؟ ولا أدرى أية حاجة تدفعنا الى إيثار المصادر التى تنهج نهج الطريقة الأولى فى الطعن على العرب والنيل منهم واعتبار هـذه الطريقة الطريقة العلمية الصحيحة ؟

أرجو من الأستاذ الـكريم أن يفسر الأسباب التى دعته إلى إيثار هذا الرأى إذ ليس من الحق اعطاء نتيجة من غير أسباب . وأرجو أن يفيدنا عن قيمة النصوص التاريخية التى اعتمد عليها كل من أصحاب الطريقتين وعن العوامل التى جملته لا يزكى أصحاب الطريقة الثانية . حتى إذا كان فى رأيه ما يعتقد به العقل المجرد أودعنا ما عندنا من كتبهم فى زوايا المكاتب ، وإن أراد أطعمناها النار !

حقاً لقد تركنا المستشرقين فى حيرة من أمرهم ، فهم إن كتبوا بما يلائم هوانا وعزنا قلنا عنهم : انهم يخادعون ويكذبون ؛ وإذا

(١) من فصل نشر فى مجلة المقتطف عن الاب — لامنس —

سطروا بما يجردنا من كل فضل وعزة رفعنا على فضلهم مناراً .
وأقمنا لعلمهم علماً !

أما وقد كذبوا علينا مراراً فليخطئوا مرة واحدة

خليل هنداوى

نباتات الزينة العشبية

ظهر حديثاً فى عالم المؤلفات الزراعية كتاب « نباتات الزينة العشبية » للأستاذ محمد كامل حجاج . والمؤلف هاو كبير ومحب عظيم للنباتات . وهو يكرس لها وقته وجهده وماله . وقد سلخ الشطر الأكبر من حياته فى دراسة نباتات الزينة دراسة عملية مستفيضة يحدوه شغف عظيم بها وحب طبيعى لها حتى أصبح ثقة من ثقاتها القليلين فى مصر

قدم للكتاب بمقدمة وجيزة ضمنها نبذة صغيرة عن تاريخ الحدائق بمصر ، وكذلك شيئاً عن المناخ والتربة وما ينجح من النباتات بمصر ومالا ينجح بها والظروف الملائمة لهـا ، ثم عن الأكثار والأسمدة مما لا غنى عنه لمبتدئ مسترشد

وبعد ذلك قسم النباتات إلى صيفية وشتوية وتكلم عن كل منها فى ترتيب أبجدى شامل . ولم ينس فى الآخر أن يخص تزيين الشرفات والموائد ببضع صفحات شائقة قيمة

ويمتاز الكتاب بشيئين بارزين :

أولهما : الايجاز التام فى الشرح والأداء إيجازاً لا يخل بمادته

ثانيهما : كثرة الصور الجميلة الواضحة مما يندر أن نصادف مثلها فى مؤلفاتنا العربية

فالكتاب يصح أن يكون مرجعاً سهلا ثميناً للهاوى والمحترف . وأعتقد أنه سد ثغرة كبيرة كانت شاغرة فى فلاحة الأزهار .

محمد بهجت

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧